العنف
دراسة أولية في أسبابه وأشكاله ووظائفه وسبل الحد من وطأته

أ.د. عبد السلام إبراهيم بغدادي(*)
dr.salsm54@yahoo.com

الملخص:

يعالج البحث موضوع مهم الا وهو ظاهرة العنف التي تعدظاهرةمتأصلا ومتجذرا في الإنسان، كما يذهب إلى ذلك كثير من الباحثين، وقد يكون مكتسباً بحكم البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الإنسان ، وفقا لما يراه باحثون مخالفون، إلاّ أن العنف، في الحالتين، هو واقعة Fact ملازمة للإنسان منذ أن ظهر على وجه البسيطة. واقعة لا تفارق الإنسان في مراحل حياته المختلفة صغيراً كان أم كبيراً، ظالماً فيها أو مظلوماً، جلاداً أو ضحية، وقع منه الأذى أم وقع عليه.

المقدمة:

قد يكون العنف violence متأصلا ومتجذرا في الإنسان ، كما يذهب إلى ذلك كثير من الباحثين، وقد يكون مكتسباً بحكم البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الإنسان، وفقا لما يراه باحثون مخالفون، إلاّأن العنف، في الحالتين، هو واقعة Fact ملازمة للإنسان منذ أن ظهر على وجه البسيطة. واقعة لا تفارق الإنسان في مراحل حياته المختلفة صغيراً كان أم كبيراً، ظالماً فيها أو مظلوماً، جلاداً أو ضحية، وقع منه الأذى أم وقع عليه. وهذه هي فرضية البحث التي سعى إلى إثباتها عبر هيكلية درست أسباب العنف، وأشكاله فضلا عن وظائفه، ومسارب تفريغ شحناته بما يفضي إلى تخفيف وطأته أو الحد من سطوته، وتلك كانت هيكلية الدراسة.

ولم تنتظم هذه الهيكلية أو تنساب ،إلاّ عن طريق اعتماد منهج سوسيولوجي/مقارن ، سعى لإثبات فرضية البحث والبرهنة عليها ، عن طريق عرض وتحليل كثير من الحالات والوقائع ، من الحياة اليومية المعاصرة ، مع الأخذ بنظر الاعتبار ، انه بحث لم يخرج من اطار بيئته العربية ، والعراقية منها على النحو خاص ، من دون إهمال للبيئة العالمية . ويأتي تركيز البحث على الحالة العراقية ومن ثم العربية ، ليس بحكم انتماء الباحث إليها أو معايشته لها حسب ، وإنّما لأن هذه البيئة أصبحت وللأسف الشديد ، حقلاً (خصباً) ، بل و(منجماً) للعنف في بعديه الاجتماعي (الجرمي/الجنائي) والسياسي (الإرهاب بأبعاده ومستوياته المختلفة) . وهذه هي إشكالية البحث ومشكلته ،إذ أصبح العنف متلازمة syndrome من متلازمات الإيقاع الاجتماعي/السياسي في كل يوم من أيام السنة حتى بدا اليوم الذي يخلو من العنف يوما غريبا غير مألوف في حياة العرب المعاصرة، لاسيما في بلدان عربية محددة، منها العراق الذي يتقدم الجميع في وقائع العنف اليومي، تليه سوريا، فليبيا، واليمن، والى حد ما مصر وبلدان أخرى . وهذه المشكلة التي بدأت بالتحول من ظاهرة إلى ما بات يعرف بالواقعة[١]،أصبحت متغيراً ضاغطاً ليس على السياسي أو المشرع القانوني أو الباحث العلمي حسب ، وإنّما على كل من يعنيه وقعها، ولاسيما أولئك المتضررين منها في أرواحهم أو أموالهم أو نمط حياتهم . ومن هنا جاء هذا البحث – وبدفع من مطرقة هذا الضاغط – ليكشف بعضا من أسباب هذا العنف الذي حل ضيفاً ثقيلاً بين ظهرانينا، وتباين أشكاله ووظائفه ، لينتهي إلى عرض مقترحات وحلول ، راجيا منها تخفيف حدة هذا (المرض) من دون استئصاله ، فالعنف ملازم للبشر متلازم مع الحياة، لكن هذا لا يمنع استئصال جله أو بعضه، والتخفيف من كله أو مجمله. ولا يزعم البحث انه قدم شيئا فريدا أو غير مسبوق لكن ما يزعمه انه عالج الموضوع من زاوية عربية، وعلى نحو أدق عراقية . وهي زاوية لم تسترسل في الماضي إلاّ بقدر ما يلزم، ولم تستغرق في النظري والمفاهيمي إلاّ بقدر الحاجة والضرورة ، ولم تنفرد بعرض وتحليل الاجتماعي أو تختص بالسياسي حصراً – على الرغم من أنها دراسة في علم الاجتماع السياسي – وإنّما أشارت إلى جوانب العنف الأخرى ، بما فيها الثقافي والنفسي واللفظي والانثروبولوجي ، بل أنها في مناحي متفرقة تعرضت للعنف الذي يمس الزرع والضرع بل وحتى الحجر (الحضارة والتراث والآثار) . وليس هذا من اختيار الدراسة أو تفضيلاتها، وإنّما هو امر واقع Status quo فرضته الطبيعة العراقية[٢]من جهة

والحياة الاجتماعية من جهة أخرى ، فالعنف موجود في الطبيعة كما هو موجود في المجتمع فالظلم – وهو شعبة من العنف – من شيم النفوس/فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم ، كما يقول شاعر العرب الأكبر المتنبي. بل ان القران الكريم أشارإلى ذلك صراحة[وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ](٣).وعسى أن تقدم هذه الدراسة نفعاً، والله من وراء القصد.

مدخل : فحوى العنف وطبيعته

ليس العنف – على الأقل بالنسبة للشخص المتمدن على وجه الخصوص – بالموضوع الشيق والجاذب ، بل انه على درجة من البشاعة تجعل حتى اكثر المفكرين تفاؤلا متشائما ، وطالما أن المتفائلين يكتبون كتابة رديئة – على حد تعبير البعض – ويميل المتشائمون إلى العزوف عن الكتابة عنه كليا ، يمكن تفهم صمت بعض مفكري النظرية السياسية عن العنف(٤) .

وبادئ ذي بدء ،نشير إلى ما ذكرته (كارين آرمسترونغ)(*) من أن العنف كان عند ظهوره (بدائياً، كان نزاعاً على الأرض، والماء، والممتلكات والنساء، ثم صار دينياً. وعلى العكس، من فلسفات اليوم "خاصة الغربية"، لم يكن الدين في الماضي مسألة منفصلة وشخصية ، فقد ساد جميع جوانب المجتمع، وظل العنف لقرون، خليطا من بدائية ودين، عدوان زراعي، أو رعوي، وغضب آلهة أو فرحها، وهزيمة محارب أو انتصاره . وصارت الانتصارات احتفالات مقدسة ، والهزائم حزن مقدس ، حتى الانتقام . واستمر ذلك جيلا بعد جيل ، وعلى مدى قرون من الزمن)(٥).

وفي الزمن الذي نعيش فيه اليوم ، يشعر الكثيرون أن العنف ومخاطره صفة حتمية لعالمنا كما هو عليه ، ويبدو ان العنف عاد ليجثم هنا بصورة قلقة . فالتقرير العالمي الأول عن العنف (والمنشور عام ٢٠٠٢)– يحمل أنباءً لا تسر – إذ يعاني ما يزيد عن ١,٦ مليون إنسان من موت عنيف سنويا ، وبمعدل وسطي يُقتل ما يزيد عن (١,٤٠٠)إنسان يوميا ؛ ويُقتل (٣٥)إنسان كل ساعة تقريبا جراء نزاع مسلح ؛ مع تعرض ربع نساء العالم لعنف جنسي على يدي " شريك حميم "(٦) . وتذكر الإحصاءات المعتمدة ، أن (١٨٧) مليون إنسان قتلوا في الحروب والصراعات خلال القرن المنصرم ، وينفق العالم اليوم ٤٠ مليار دولار على إنتاج السلاح (٧) .

ويستفيد الصحفيون العاملون في حقل وسائل الإعلام كالتلفاز على وجه الخصوص من هذه الأرقام .وبإطلاقهم العنان لدوافع مختلفة ، يساعدون على تأكيد الانطباع القائل أن عالمنا اضحى اكثر عنفا من ذي قبل إلى درجة أن العنف بات أمراً طبيعيا –أي ثابتا رهيبا من ثوابت الحالة البشرية – فقد استوحى مناصرو العنف (ما ينبغي القيام به وتشبثوا بالنص وارتقوا إلى مستوى الحدث ، فكأن إثبات أن البشر مخلوقات جبانة بنذالة يجعل من أعمال العنف أعمالاًأدبية ، إذ يتم التحضير للتفجيرات ونشر الخوف والأذى والموت بعناية من اجل جمهور عالمي)[٨] .

ويبدو أن العنف موجود اليوم في كل مكان ، بدلالة قيام شركات التأمين في البلدان المتقدمة وشبه الآمنة ، بتذكير الزبائن المفترضين ، (بالحاجة لتقديرات خطرة ومتطلبات السلامة ، وتضع السلطات الأمنية المواطنين في صورة الأخطار، وتسوق الشركات الأمنية الخاصة المزدهرة بضاعتها)[٩] .

وهنا يتساءل المرء عن اصل العنف ، هل يدخل في التكوين الجيني أو الوراثي أو العرقي ، أم إنه يأتي نتيجة التربية والبيئة والتجارب والمناخ والعلم أو اللاعلم والجهل؟ وهل العنف من صنع الأفرادأم الطبيعة ، أم الأنظمة السياسية على أنواعها ، وخاصة الديمقراطية الليبرالية التي أوجدها تطور البشرية ، حتى وصلنا اليوم إلى تداخل الأنظمة ، بحيث اصبحنا نعيش في عصر العولمة التي تعتمد على الاقتصاد ، وعلى السطو العلمي والعرقي والعسكري[١٠] . وهنا نلمح إلى بعض الطروحات النظرية التي قدمها كل من المفكر الإنكليزي الشهير توماس هويز ١٥٨٨ – ١٦٧٩ صاحب كتاب الليفثان وأحًد منظري العقد الاجتماعي ، والطبيب النمساوي سيغموند فرويد ، ١٨٥٦– ١٩٣٩ ، المؤسس لعلم النفس الحديث وصاحب نظرية التحليل النفسي ، إذ ترى هذه الطروحات في العنف، (مجرد نزعة مرتبطة بطبيعة البشر للعدوان ، وإيذاء الغير ماديا أو معنونا لنيل حقوقهم ، سواء المشروعة أو غير المشروعة . فالعنف في جوهره – سواء أكان فردياً أم جماعياً منظما – هو مجرد وسيلة لا غاية تنشأ كتعبير عن خلل في البيئة المحيطة به ، بما يخلق حالة من عدم استقرار وغياب الأمان الاجتماعي)[١١] .

ويبدو إن هناك من الباحثين العراقيين المعاصرين من نحا هذا المنحى ، إذ يرى بعضهم ، إن (نزعة العنف متأصلة في الذات الاجتماعية ، شأنها شأن نزعة السلام والوئام .

والفرق بيننا وبين المجتمعات المتقدمة ، أننا لم نستطع أن نوازن بين آليات الوئام والوفاق وآليات القهر والعنف لكي نحقق توازنا في حركة المجتمع. والمجتمع البشري إنّما يتحرك بفعل مستويين من القوانين :

المستوى الأول : مستوى القوانين البيولوجية الذي تتحكم فيه عوامل التعايش والصراع من أجل البقاء. وهذا المستوى يتحكم تحكماً مطلقاً في عالم الحيوان .

أمّا المستوى الثاني من القوانين : فهو مستوى القوانين الثقافية الذي تتحول فيه آلية التعايش إلى آليات تعاون، وآلية الصراع من اجل البقاء إلى آلية منافسة .

وعن طريق الخطاب الإعلامي والثقافي الموجه وكذلك عن طريق آليات مؤسسات المجتمع الرسمية والمدنية يمكن أن تتغلب ثقافة السلام والتعاون بدلا من ثقافة العنف وإنكار الآخر)[١٢] . وكان الفيلسوف الألماني النقدي المعروف عمانوئيل كانت ١٧٢٤ – ١٨٠٤ يردد دائماً أن الناس طبعوا على ميول الأثرةوالأنانية[١٣] .في حين يرى باحثون آخرون ، أن العنف صفة طارئة ، وهذا ما ذهب إليه (جون كين) ، الذي يرى : (بأن الاعتقاد القائل أن العنف " طبيعي " – هو موقف متأصل عند كل فرد أو موقف متجدّد إمّا للناس أو للكائنات بمجملها – محدَّد تاريخيا ومناهض للديمقراطية إلى حد بعيد)[١٤] . وهذا يعني أن العنف ، لديه غير متأصل في النفس البشرية ، وإنّما هو عامل طارئ تفرضه البيئة أو المجتمع الذي يوجد فيه الإنسان .

وتميل دراستنا إلى الأخذ بهذا الرأي إلى حد ، بدلالة وجود مجتمعات خالية من العنف إلى حد كبير . ومثال ذلك المجتمعات الإسكندنافية والسويسرية والفنلندية والنمساوية، بل وحتى بعض المجتمعات الأفريقية، مثلما هو الحال في بوتسوانا وسوازي لاند وغينيا الاستوائية .

وفي اللغة : العُنف بالضم ضد الرفق ، والتعنيف : التعيير واللوم ، و(عُنفوان) الشيء أوله[١٥] . وتدل مفردة عنف (violence) في اللغة الإنكليزية على الأذى والشدة والقسوة، ومنها (violation) وتعني انتهاك/تدنيس (للمقدسات)، اعتداء ، اغتصاب (لفتاة)، والفعل منها (violate) بمعنى : ينتهك (حرمة كذا)، يعتدي على ، يغتصب (فتاة)، يدنس (المقدسات) ؛ والصفة منها (vilent) وتعني: شديد ، عنيف ، قاسي، شديد الانفعال،

صارخ، غير طبيعي : ناشئ عن عمل من أعمال العنف ، مشوَّه ، مُحرَّف [١٦] . وجميعها مفردات قاسية ، مُنفَّرة ، بل ومقززة ولا تبعث على الراحة والاطمئنان .

والعنف ، كما يرى البعض مصطلح متقلب وخلافي ، وهو برغم كثرة استعماله أو استخدامه ، لكن هناك إساءة للاستخدام [١٧]، لأنه كما يرى (جورج سوريل) ما يزال من اكثر المشكلات غموضاً[١٨] .

قد يكون البحث (عن تعريفات محفوفا بالصعاب ،إلاّأنه يبين في الحدود الدنيا، إن مصطلح العنف الالتباسي ، شأنه شأن مفهومات العلوم الإنسانية كلها، نمطي– مثالي، وهذا يعني أنه يسلط الضوء على أوجه معينة من الواقع تسليطا انتقائيا لا وجود لها في الشكل الصرف الذي يفترضه المفهوم . وبقدر ما يستمر استخدامه، يبقى مفهوم العنف، بسبب الانتقائية والقضايا الأخلاقية المعقدة التي يتطرق إليها مثيرا للجدل دائماًوأبداً)[١٩] .

يرجع مفهوم العنف عند جون كين (إلى الاستخدامات الإنكليزية الأولية للمصطلح [من اللاتينية (القوة) و(اسم المفعول من الفعل"يستخدم")] لوصف استخدام القوة البدنية ضد شخص ما يتم بناء عليه إزعاجه أوإعاقته أو التحرش به بوقاحة وخشونة أو انتهاك حرمته ، وتلطيخ سمعته ، وقول كلام بذيء بحقه، أو تنجيسه. ومن الأهمية بمكان الحفاظ على هذا المعنى القديم والدقيق للعنف، وليس لمجرد ملاءمته المستمرة في عالم يعج بوحشية فعلية كامنة)[٢٠].

وإذا ما اردنا تبسيط المفهوم وتعريفه نظرياً، فانه يمكن القول إن العنف (هو الاستخدام غير المشروع للقوة المادية بأساليب متعددة لإلحاق الأذى بالأشخاص، والإضرار بالممتلكات. ويتضمن ذلك معاني العقاب، والاغتصاب، والتدخل في حريات الآخرين. واذا انتقلنا إلى الفضاء السياسي، فان ثمة اتفاقا على أن العنف، "هو استخدام القوة المادية أو التهديد باستخدامها من أجل تحقيق أهداف سياسية". واذا كانت السياسة هي صراعاً بالأساس على القيم، فإنه (أي الصراع) قد يصل إلى مرحلة قصوى ، بحيث يتحول إلى عنف)[٢١]، فالعنف بكل الأحوال استخدام غير قانوني للقوة [٢٢](*). وهو (إيذاء مادي ومعنوي، وقد تتعدد أسبابه ، لكنه الأذى يجمع ضحاياه)[٢٣]. والعنف – بدلالة سياسية/ ديمقراطية – يعد تدخلا بدنيا مقيتا (بأجساد الآخرين على نحو يتجرعون فيه الألم والمعاناة الذهنية، وفي الحالات القصوى الموت. يعد العنف العدو الأكبر للديمقراطية كما نعهدها ،

فالعنف لعنة لروحها وجوهرها لان الديمقراطية بوصفها جملة من المؤسسات وأسلوباً في الحياة تعرف كوسيلة سلمية لتوزيع السلطة توزيعاً عادلاً ومراقبتها علناً ضمن مجتمعات متداخلة من البشر وفيما بينهم يعيشون وفقا لجملة واسعة من المعايير الأخلاقية)[٢٤]. نخلص إلى أن العنف ، هو استخدام غير شرعي – غير قانوني للقوة إزاء الغير ، وقد يكون هذا العنف مادياًأو معنوياً ، فردياًأو جماعياً ، اجتماعياًأو سياسياً ، موجها ضد فرد أو جماعة ، بل أن أذى العنف يتعدى البشر (فرداً أو جماعة) ، إلى الكائنات الأخرى من حيوان أو نبات ، بل إلى الطبيعة ذاتها ، التي تعاني من أذى مصدره الإنسان [ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ....][٢٥] ، إلى درجة أحداثأضرار بات من الصعب إصلاحها ، مثل الاحتباس الحراري وثقب الأوزون والتفجيرات النووية واستنزاف الموارد غير المتجددة وغير ذلك من أضرار لم تكن تخطر على بال الإنسان قبل قرن من الزمان .

لكن بحثنا المتواضع هذا يدور حول العنف الاجتماعي – السياسي الذي يكون مصدره ومتلقيه الإنسان حصراً دون غيره . انه يدور حول ظلم الإنسان لأخيه الإنسان ، بوصفه الظلم كما مر بنا – خصلة لا يخلو منها بشر، استناد إلى قوله تعالى [وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ...][٢٦].

وهو الظلم –كما قال شاعر العرب الأكبر ،أبو الطيب المتنبي – من شيم النفوس ، فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم. فالظلم، لا سيما السياسي منه مرافق (أمين) للإنسان في حله وترحاله، فان كان من الصعب محوه أوإزالة آثاره، فانه يمكن تخفيف وطأته، اذا ما اعتبرنا السياسة –وفقا لما ذهب إليه المفكر الفرنسي فولتير/الذي مهدت أفكاره للثورة الفرنسية ١٧٨٩–(حق وخير ومعرفة وإنصاتللآخر). بل ووفقا لما ورد في تراثنا الإسلامي الخالد، متمثلا هنا بقول الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من أن (آلة الرياسة سعة الصدر).

فهل يوسع السياسي صدره للآخر، ويعد السياسة خيراً وحقاً وجمالاً؟ أم يراها عنفاً وشراً ، ومصدراً للكراهية ونبذ الآخر؟ هنا يكمن السؤال وتنطوي الإشكالية.

١. أسباب العنف

من الصعب جداًوأنت تدرس العنف أن تفرز أسبابه عن أشكاله ووظائفه فهو مثل المزيج الكيمياوي المتداخل ، فما أن يتكون من مصادر متعددة ، فانك تجد استحالة في إرجاعه إلى تلك المكونات من جديد بخلاف (الخليط) الذي يمكن إرجاعه بسهولة إلى مكوناته الأصلية . وعليه فمهما حاول الباحث في هذا المجال الاجتماعي /السياسي /النفسي /الثقافي/الاقتصادي، أن يضع الأسباب في باب والأشكال والوظائف في باب آخر فانه سيجد صعوبة ما بعدها صعوبة ، لان أسباب العنف متداخلة مع أشكاله ووظائفه إلى حد كبير. وعندما نأتي إلى أسباب العنف نفسها ،فأننا سنجد الصعوبة ذاتها في تمييز أو تصنيف الدوافع النفسية عن الاجتماعية عن الثقافية عن غيرها ، فهي تطرح نفسها في كثير من الأحيان كتله واحدة مكوَّرة متشابكة ، مثلما هو حال عنف الثورات والصراعات الأهلية والحراك المجتمعي العنيف . مع ذلك ولأغراض الدراسة المنهجية فان البحث حأول أن يصنف موضوعاته إلى أسباب وأشكال ووظائف .وفي حقل الأسباب اجتهد أن يصنفها إلى نفسية وثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية ، لكنه مع ذلك لم يفلح في فصلها عن بعضها فصلا تاما ؛ لا لصعوبة علمية حسب وإنما لأن الأسباب تطرح نفسها في الطبيعة متداخلة متمازجة . ومن أجل أن نتخلص من هذه الإشكالية ، عالجنا الأمر بطريقة ثنائية مزدوجة ، ففي البدء أوردناالأسباب المتداخلة التي لا يمكن تفكيكها إلى جزيئاتهاالأولية ، وبعد ذلك أوردنا الأسباب كما لو أنها منفردة واحدة تلو الأخرى. ومع ذلك ظلت هذه المنفردات غير خالصة فهي أشبه من يحاول فصل السداة عن اللحمة إذ يبقى في هذه شيء من تلك ، وهذه هي طبيعة الأشياء في العلوم الاجتماعية بل حتى في العلوم الطبيعة فالكل متداخل مركب وإن نشأ في الأصل من مفردات منفردة .

في ضوء ذلك سنورد ما اجتهدنا على تسميته بالأسباب المتداخلة ثم تليها المنفردة، وان كنا نزعم أنها ليست منفردة، ولكن طبيعة البحث العلمي هي من يملي ذلك.

١-١- الأسباب المتداخلة

قد لا يرجع العنف إلى سبب أو عنصر دافع بعينه ، بل أن هناك تداخلا بين المعتقدات والقيم والظروف السياسية والاقتصادية والمعيشية . فقد يرجع العنف إلى دوافع اجتماعية نفسية متعلقة بالحرمان النسبي ، الذي يعرف بانه عنف هيكلي ينجم عن التفاوت في توزيع الدخول ، والثروات ، وفرص الحياة ، أو هو نتيجة انقسام طبقي داخل كل مجتمع ،

أو قد تكون وراءه دوافع سياسية بالأساس ناتجة عن فكرة الصراع السياسي على السلطة [٢٧]. فالعنف قد ينطوي على دافع سياسي ،أو بدوافع حب السيطرة والاستعلاء ، أو من منطلق عقدة التفوق ، أو قد يأتي من دافع عنصري، أو قومي أو ديني أو نفسي أو فكري ... الخ [٢٨].

وتدفع الظروف الحياتية الصعبة ، وعدم تلبية الاحتياجات الأساسية ، والمتمثلة بالصعوبات الاقتصادية والتوترات السياسية ، والتغيرات الاجتماعية، والصراعات الداخلية نحو العنف ، كمحاولة للتخلص من هذه الظروف غير المحتملة . وغالبا ما تتولد هذه الظروف عقب الحراك الاجتماعي لاسيما الثوري ، وما يصاحبه من عدم استقرار مجتمعي ، وسياسي ، واقتصادي ، مما يؤدي إلى عدم تلبية احتياجات مادية أساسية للشعوب . وكذلك احتياجات نفسية لا يمكن الاستغناء عنها مثل الحاجة إلى الأمن ، أي أن يشعر كل فرد بانه هو وعائلته ، وكل أفراد جماعته في أمان من الأضرار النفسية أو المادية ، والحاجة إلى الهوية الإيجابية ، التي تعني الحاجة إلى الشعور بالتأثير والتحكم ، والفاعلية ، والقدرة على تحقيق أهداف عامة ، وكذلك الحاجة إلى ادراك الحقائق التي تجعل العالم المحيط بالإنسان قابلاً للفهم ، كل هذه الحاجات معرضة للإحباط بسبب البيئة التهديدية التي تشعر الأفراد بعدم الأمان ، وعدم الفعالية ، والتحكم ، مما يؤدي إلى تمركزهم حول ذواتهم والتركيز على انفسهم دون الآخرين ، ويضطرهم لاستخدام العنف في أحيان كثيرة لتلبية هذه الاحتياجات [٢٩] .

وإذا ما بحثنا في الأسباب المتداخلة للعنف في العراق – بعد عام ٢٠٠٣ –فأننا نجد قائمة طويلة من المدخلات التي أدت إلى مشكلات اجتماعية وسلوكية معقدة لعل في مقدمتها توقف عجلة التنمية ، وانهيار المؤسسات البنيوية وفي محطتها الأولى المؤسسات الاجتماعية، وضيق فرص العمل ، وتدهور أوضاعالأسرة ، بما فيها المرأة والطفل، وتراجع النظام التعليمي والصحي ، وضعف وسائل الضبط الاجتماعي الرسمية وغير الرسمية، مما فسح المجال واسعاً لشتى أشكال العنف والانحراف والجريمة، وتعاظم أعداد العاطلين، والمشردين ، والمهجرين، وأطفال الشوارع، والمتسولين والمرضى، إلى غير ذلك من الفئات المهمشة Vulnerable Groups ذات القدرات المتدنية التي غالبا ما تفشل في مواجهة تيارات الحياة فتضطر للبقاء في قاع المجتمع خارج اطار الشعور بالانتماء والمواطنة، مما يعزز إحساسها

بالعجز والاغتراب ويحرمها من ابسط حقوقها ، كما يسلبها في الوقت نفسه القدرة على أداء حقوق المجتمع(٣٠) .

وهكذا أصبحنا نلاحظ ظواهر عدة ، خارج السياق الاجتماعي المألوف ، منها وجود كثير من الأجهزة الرسمية ، تعمل خارج السياقات والمعايير المهنية ، مع انتشار ظاهرة الجماعات المسلحة ، مع تعرض مناطق عديدة للتدمير بسبب الحرب والإرهاب مع ارتفاع نسبة التهجير القسري والاستقطابات المناطقية والقبلية والطائفية ، وارتفاع نسبة الفئات المهمشة (الأرامل والمشردين) وظهور نظام المحاصصة السياسية ذات اللون الطائفي والمناطقي ، وانتشار ثقافة الولاء بدلاً من ثقافة الإنجاز، وارتفاع نسب البطالة وتدهور الناتج المحلي الصناعي والزراعي ، وتآكل الطبقة الوسطى وتراجع دورها التنويري(٣١)، مع ارتفاع أعداد النازحين داخل البلد بسبب الحرب والإرهاب وعدم الاستقرار السياسي (٣٢).

١-٢- أسباب تتعلق بالتخلف والتبعية وغياب الحكمة وتراجع المعرفة

هناك من يرجع أسباب العنف في مجتمعاتنا العربية إلى واقعتي **facts** التخلف **underdevelopment** والتبعية **dependency**بأشكالهما المتعددة من جهل ومرض وأمية ، وحرمان من فرص التعليم الحديث (التقني والنوعي) . ويضرب على ذلك مثلا بسيطا ، إذ يشير إلى أن نسبة ما ينفق على الأبحاث في الجامعات والمؤسسات العربية لا تتعدى الـ(٠,٥٢%)من الدخل القومي ، في حين تتمتع جامعة أمريكية واحدة ، مثل هارفرد ، وحدها بـ(٢٦) مليار دولار أمريكي كميزانية لأعمالها البحثية والأكاديمية(٣٣) .

عليه ، يرى كثير من المعنيين ، أن ما ينقصنا في هذه المرحلة هو غياب المعرفة وقبلها الحكمة . وهنا يقول احد الباحثين ، حول هذين الأمرين وعلاقتهما بالعنف سلباً أو إيجاباً : " إن غياب عنصرين جوهريين اسفر عن هذا الوضع : غياب الحكمة وغياب المعرفة . عندما اخبر الله القدير سليمان أن باستطاعته طلب اي شيء وسوف يناله ، طلب سليمان الحكمة والمعرفة . الحكمة هي الحبل الرابط بين الرب وبيننا ، وهي الجسر الروحاني الذي يقودنا للكمال. أما المعرفة فهي تحقق أفعالناوأفكارنا . وتمثل الحكمة والمعرفة وجهين لعملة واحدة. ومثلما يقول القران: ".. ليس للإنسان إلاّ ما سعى"(*) .

وبناءً على الحكمة ، باستطاعتنا أن نبقى معاً ، فنحن جميعا ركاب على متن السفينة ذاتها ونقصد الوجهة ذاتها . لذا علينا العيش معا وتقبل بعضنا البعض بجميع معتقداتنا

وديانتنا، ومن لا يدينون بأي دين . ينبغي أن نحشد قوانا ضد العنف والكراهية . وينبغي أن نتحدث لأطفالنا حول أن جوهر جميع الأديان هو الصداقة والحب" (٣٤) .

١-٣- أسباب تتعلق بالعامل النفسي

أشارت هذه الدراسة في مدخلها ، أن الباحثين الذين عالجوا موضوعة العنف ، لم يتفقوا على تحديد علاقة الإنسان مع العنف سايكولوجيا ، فمنهم من رأى أن العنف هو عدوان يتولد بشكل غريزي ، بمعنى انه متأصل في الإنسان ذاته ، ومنهم من عده مكتسبا، بمعنى أنه أتى عن طريق البيئة المحيطة (٣٥) .

فمثلا يذكر جون كين في كتابه العنف والديمقراطية ، (إن الطبيعة البشرية ميالة إلى العنف ، ولهذا السبب تحتكر هيئة مسلحة مثل الدولة وسائله احتكاراً لا مناص منه ، ودون أية مسائلات لاحقة)(٣٦) .

في حين يطرح باحثون آخرون تساؤلات عدة حول أصل واقعة أو ظاهرة العنف ، هل هي متأصلة أم مكتسبة ، فيقول (غوش) متسائلا : (أهي مولودة مع الإنسان) ثم يحاول أن يتلمس إجابة عن تساؤله ، أهي [العنف] ، (مولودة مع الإنسان أم من نتاج تربيته ؟ والعلم يجيب ويؤكد انه في الحالات الطبيعية لتكوين دماغ الإنسان ... لا شيء يدل على وجود عنف مصاحب له . غير انه يجوز أن يحصل ذلك ، اذا ما طرأ خلل في التكوين الجيني لأسباب مختلفة ، فيصبح عندنا عنف مرضي مبني على تخدج دماغي أو غيره . كما يوجد عنف متأت من ضعف في الإدراك ، فيصبح الإنسان سريع الغضب ولا يحفظ توازنه . لذلك يرجح أن يأتي العنف من التربية والتعليم والتنشئة الأخلاقية والتأثير المناخي والتربة وتجارب الفرد، على هذه المعمورة)(٣٧) .

وهذا يعني انه يذهب مع الرأي الذي يرى بأن العنف مكتسب وليس متأصل عند الإنسان . ثم يمضي هذا الباحث في ذكر الأسباب التي تدفع نحو انخراط البعض في دائرة العنف ، فيقول : إن أسباب العنف (تعود إلى عقدة الدونية (inferiority complex) من جراء ضعف المجتمعات اقتصاديا وعلميا وثقافيا . فالجاهل يحاول أن يعوض عن عقَّده باستخدام القوة لفرض هيبته ، ولتأكيد وجوده، من أجل أن يحافظ على بعض من التوازن الاجتماعي)(٣٨).

ويذهب هذا الباحث مع كثير ممن حاولوا إرجاع ظاهرة العنف إلى عوامل نفسية، إلى أن الوعي بالإحباط ، يولِّد الشعور بالخطر ، إذ يرى أن هناك علاقة وثيقة بين الحرمان والعدوان أو العنف .. يعبر عن ذلك علماء النفس في تفسير السلوك العدواني في الإنسان حين يلجأ الأناني إلى العدوان عندما يتعرض للفشل والإحباط في إشباع حاجاته ،أو في تحقيق رغباته وأهدافه.

كما يرتبط العنف عند الأفراد بالقوة البدنية ، وحتى عند الحيوانات تميل الذكور إلى العنف اكثر من الإناث . وعند بعض الدول والشعوب تشعر الأمة كلها بالحرمان والفشل والإحباط . وترتبط الحرب وفق مدرسة التحليل النفسي ، بمشاعر النقص والشعور بالذنب، كما ترتبط بغريزة العدوان أو التدمير أو الموت. يحاول الإنسان أن يسقط على الآخرين أسباب فشله أو حرمانه وخيبة أمله، فيسقط ذلك على العدو ويحمله سبب فشله، فتستيقظ عنده مشاعر البطولة ويسعى عندها الى التضحية بذاته من اجل المجموعة ، ويباشر بالقتل [٣٩] .

... إن الشعور بالنقص – عند بعض الباحثين في مجال التحليل النفسي – يثير الرغبة بالتعويض ، ويسعى الفرد إلى إبراز قوته ومزاياه البطولية ، والشعب الذي يرى نفسه أقل رقياًأو تحضرا يرد على ذلك بتنمية الشراسة تعويضاً .

وهنا يقول ونستون تشرشل – رئيس وزراء بريطانيا، في أثناء الحرب العالمية الثانية – إن أهم مشكلة اعترضته بعد الحرب ، هي إزالة السلاح من يد الجنود ، وأن أخطر مشكلة كانت النتائج النفسية غير المنظورة التي زرعت الإرهاب والخراب والدمار[٤٠].

وتمحورت معظم الدراسات التي عالجت العنف من منظور نفسي (في ثلاثة اتجاهات رئيسة، الأول يربط بين العدوان والعنف، ويرى أن العنف هو عدوان يتولد أمّا بشكل غريزي أو مكتسب عن طريق البيئة المحيطة. أمّا الاتجاه الثاني، فقد ربط بين العنف والإحباط ، ورأى أن الإحباط هو السبب الرئيس لاندلا ع العنف في المجتمعات كافة، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي. أمّا الاتجاه الثالث، فقد ركز على العنف كنتيجة للاضطرابات السلوكية التي تصيب بعض الأفرادوتدفعهم لاستخدام العنف مع الآخرين، كالعقد النفسية، أو المرور بخبرات مؤلمة وصادمة، أو التعرض لأعمال عنف سابقة .

ورغم أهمية هذه الاتجاهات في دراسة العنف فانه يرد عليها بعض التحفظات ، منها أنها تعاملت مع العنف كوحدة واحدة دون أن تميز بين أشكاله المختلفة أو مستوياته المتعددة ،كما أنها تناولت العنف بشكل عام ، ولم تتطرق إلى خصوصيته في بعض المجتمعات أو في بعض الفترات الزمنية ، و منها المراحل الانتقالية للثورات ، فضلاًعن أن معظمها تناول العنف أما من منظور نفسي بحت ، أو منظور اجتماعي فحسب ، وهو أمر يعتريه قدر من النقص لضرورة الجمع بين المنظورين النفسي والاجتماعي لسبر أغوار هذه الظاهرة)[٤١] .

ويعد الإحباطfrustration[٤٢] ،أو الشعور به نفسيا ، الذي يصيب الأفراد في الحالات الاعتيادية الفردية أو الجماعية – لاسيما في المراحل الانتقالية للثورات والحركات الجماهيرية الغاضبة –، العامل الأكثر تأثيراً في تحليل ظاهرة العنف خلال هذه المراحل . والإحباط هو موقف يواجه فيه الأفراد (عوائق عضوية نفسية تحول دون حصولهم على قيم وحقوق معينة ،أو احتفاظهم بها ، مع وعيهم الكامل بالقوى الكامنة خلف هذه الإعاقة ، مما يدفعهم للتمرد واستخدام العنف اذا ما أتيحت الفرصة لهم .

وتعددت الأطر النظرية التي تنأولت العلاقة بين العنف والإحباط فمنها ما ربط بين العدوان والعنف ،مثل نظرية (الإحباط– العدوان) Frustration Aggression التي رأت أن العدوان ينتج من الشعور بالإحباط الذي ينتج بدوره من حرمان الشخص من أهداف كبرى في حياته ، أو من تهديد صريح لشخصيته . ويؤكد "اريك فروم" هذه الفرضية بقوله إن العنف والميل إلى التدمير يمثلان الناتج التلقائي والحتمى للشعور بالإحباط الذي ينشأ عن الصدمة الناتجة عن خذلان الآمال والتطلعات القومية لسبب أو آخر . كما ركز كل من ايفووروزاليندفيرابندIvo K. And Rosalind L. Feierabend على " الإحباط النسقي " اللذين استخدما هذا المفهوم كشرط من شروط عدم الاستقرار السياسي ، وكعامل أساسي من عوامل بروز العنف ، وعرفاه بأنه ذلك النوع الذي يتولد كلما كانت الحاجات الاجتماعية تفوق ما يتوفر لإشباعها)[٤٣] .

أمّاتيد جير Ted Gurr، فقد ركز(على مفهوم" الإحباط النسبي " الذي حدد له ثلاثة أشكال، أولها الإحباط التصاعدي/المتقدم(ProgressiveDeprivation) وهو الذي يحدث عندما تواجه القدرات المتزايدة والمستقرة بانقلاب مفاجئ مما يؤدي إلى انهيارها . والشكل الثاني هو الإحباط الطموحي(Aspirational Deprivation) الذي يحدث عندما

يرتفـع سـقف الطموحـات مـع ثبـات القـدرات . أمـا الشـكل الثالـث، فهـو الإحبـاط التناقصي(Decremental Deprivation)، ويحدث عندما يثبت مستوى الطموحات ، وفي الوقت نفسه تقل القدرات . ورغم تعدد الأطر النظرية واختلافها حول شكل الإحباط وأساليب التعبير عنه ،فإنها تشترك جميعا في تأكيد أن الوعي بالإحباط يولد الشعور بالخطر ، والذي اذا ما سدت أمام الإنسان مسالك التعبير عنه ومواجهته بالوسائل السلمية المشروعة ، فإنه يلجأ إلى العنف بدرجات مختلفة متجها إلى تحطيم مصادر الإحباط ورموزه ، سواء على مستوى الفرد أو الجماعة)[٤٤] .

إنّ الشعور بالإحباط النفسي ، لاسيما عند الشباب يولد رغبة جامحة في إيقاع الأذى بالآخر لدرجة إزاحته أو الرغبة بذلك . وهنا يقول أحد الباحثين الأميركيين ، في تحليل الواقع العربي المعاصر المفعم بالعنف الطائفي: (ليس هناك من سبب قط ، في ضوء المحاولات الفاشلة لتعريف نمط جديد من أنماط المواطنة لما بعد الطائفية في المجتمعات العربية ، أن نعتقد أن معتنقي الفكر الديني المتطرف العنيف سيصابون بعقم فكري يحول دون انتشار أفكارهم . فالشباب المتحالف مع الإحباط ، المتحالف هو الآخر مع عقود من الصراع غير المنتهي تعتمل في صدورهم رغبة في الموت جدا عارمة)[٤٥] .

ويبدو أن الكبت (Inhibition-Repression) وعدم توفر فرصة للتنفيس عن الغرائز الأساسيةللأفراد ، واستحالة إشباع الحد الأدنى الضروري " منها يؤديان إلى العنف . ويحدد انصار هذا الاتجاه ستة أنماط للكبت تؤدي إلى العنف ، وهي : كبت غريزة التغذية – الجوع، وكبت غريزة الملكية ، وكبت غريزة المحافظة على الذات، وكبت الغريزة الجنسية ، فضلا عن كبت غريزتي الدافع نحو الحرية ، والتعبير عن النفس. ومن ثم ، فان كبت أحد أو كل هذه الغرائز يؤدي إلى اندلا ع العنف. ويلاحظ تعدد هذه الغرائز وتنوعها، فمنها ما يتعلق بغرائز أساسية لبقاء الإنسان على قيد الحياة كغريزة الجوع ، ومنها ما يتعلق بأبعاد نفسية واجتماعية كالإحساس بالحرية والكرامة . ويؤكد باحثون كثر منهم "فلوجل" هذه الفرضية بقوله إن الدول التي تحقق فيها الحاجات الأساسية لشعوبها بصورة معقولة تكون اقل استعداداً من الناحية السيكولوجية للعنف من تلك الدول التي يسيطر على شعوبها الشعور بعدم الرضا أو الضيق "[٤٦] .

ويعـد الغضـب Anger احـد التجليـات المخيفـة للكبـت والإحبـاط، إذ لا يمكـن للكثيرين ، ولاسيما الشباب ، أن يمسكوا انفسهم ساعة الغضب [*]، فالغضب ، هو: أحد (المشاعر السلبية التي تعمل على تغذية العنف في مراحل ما بعد الثورات. وتشكل مشاعر الغضب عندما يدرك الأفرادأو الجماعات أن الأفعال التي تقع عليهم غير عادلة، ولا مبررة، وتخالف الأعراف المقبولة ، وهو ما يستدعي ضرورة القيام بعمل ملح لتصحيح هذه الأفعال، مما يؤدي إلى الميل إلى أسلوب المواجهة في التعامل مع الآخر ، واستخدام العنف معه.

ويعد الغضب من أسوأ الحالات النفسية التي يصعب السيطرة عليها ، وينتج أمّا من التعرض لشكل من أشكال الهجوم ، أو الشعور بالإحباط الشديد . وغنى عن البيان أن المراحـل الانتقاليـة للثـورات يتـوافر فيهـا كـلا الأمـرين ، اذ يشـعر أفـراد المجتمـع بالإحبـاط ويتعرضون لأشكال مختلفة من الهجوم ، مما يدفعهم لتطوير مشاعر حنق أخلاقي يعبرون عنها عـن طريـق الاشـتراك في أفعـال عنيفـة ، لـيس فقـط لتنفيـذ التغيـير الاجتمـاعي أو السياسـي، ولكن أيضاً للشعور بالكرامة في حياقم . ويتصاعد الشعور بالغضب، ويصل إلى أوجه اذا ما وقعت خسائر بشرية . فسقوط قتلى وشهداء يدخل الدم في المعادلة الثورية ، مما يؤدي إلى تنمية الرغبة في الثأر والانتقام لدى الأفراد الذين فقدوا ذويهم ، وهو ما يدخل العنف في دائرة مغلقة من العنف والعنف المضاد ، يصعب كسر حلقاتها)[٤٧] .

١-٤- أسباب اجتماعية

عرضـت الدراسـة فيمـا سـبق ، انـه لا مجـال لفصـل دقيـق وقـاطع للأسـباب المؤديـة للعنف أو تفاقمه ، إذ هناك خيوط عدة تربط بين هـذه الأسـباب ، لكـن ولأغـراض منهجيـة حاولـت الدراسـة أن تقـدم هـذه الأسـباب تحـت عنـاوين مسـتقلة ، يختلـف بعضـها عـن الآخـر ولكـن تبقـى هـذه العنـاوين الفرعيـة ، غـير مسـتقلة تمامـا – علـى ارض الواقـع –فالأسـباب الاجتماعية تبقى مرتبطة مع النفسية وكذا الحال مع السياسية والاقتصادية وغيرها لذا اقتضى التنويه تفاديا للنقد وتخفيفا للحرج .

وتطـرح الأسـباب الاجتماعيـة نفسـها، في أكثـر مـن فرعيـة – مـع التأكيـد أنهـا تبقـى فرعيات متداخلة – وهنا تذكر الدراسة بعضا منها :

١-٤-١- الاستبعاد الاجتماعي Social Exclusion :

وهي تشير إلى(تهميش بعض مكونات المجتمع، ومنعهم من ممارسة حقوقهم الأساسية ، أوالإفادة من توزيع عوائد التنمية بصورة متعمدة عادة ما ترتبط بأقلية عرقية، أو مذهبية، أو دينية، أو منطقة جغرافية طرفية، أو طبقة اجتماعية، وغيرها من أوجه التمايز الاجتماعي.

ويأتي الاستبعاد الاجتماعي نتيجة اختلال بنية المجتمع ، والدولة ، والاقتصاد ، والنظام التعليمي ، بحيث يتضمن الاستبعاد مجالات المشاركة السياسية ، والإفادة من عوائد التنمية ، وتردى الخدمات ، لاسيما التعليم والصحة، بما يؤدي لترسيخ الذاكرة الجمعية للجماعات المهمشة التي تولدت بسبب تنصل الدولة من مسؤولياتها تجاههم ، فضلا عن التوزيع المختل لعوائد التنمية بين الطوائف التي تحظى بالمزايا كافة، ونظيرتها الطرفية المهمشة ، في ظل التناقض بين مشاركتهم في تحمل أعباء التنمية والدفاع عن دولهم ، وحرمانهم في الوقت نفسه من التمتع بحقوق المواطنة ، أو عوائد التنمية الاقتصادية .

ومن ثم ، يؤدي ذلك الاغتراب إلى انعزال الجماعات المهمشة عن المجتمع، وسيادة شعور باللامبالاة بمصالحه ، والتحديات التي يواجهها بحثا عن الخلاص الذاتي ، وربما تندمج بعض عناصر الجماعات المهمشة في التنظيمات الراديكالية ، أو في النشاطات الإجرامية . وقد يؤدي اتساع نطاق التهميش إلى تلاقي مصالح الجماعات المهمشة في الدفع بالتغيير السياسي لتحقيق التوازن في وظائف الدولة التوزيعية)(٤٨) .

وهكذا يمكن القول أن الهامشية Marginalأو التهميش الاجتماعي أو الاستبعاد الاجتماعي ، ما هي إلاّ صور لغياب العدالة وتغذية العنف . ومن الجدير بالذكر ، إن أول من استخدم مصطلح الهامشية (هو روبرت بارك في عام ١٩٢٨، اذ نظر إلى الإنسان الهامشي على انه هجين ثقافي يقف على هامش ثقافتين ومجتمعين لم يحدث بينهما تداخل واندماج كامل .فالهامشي هو المهاجر إلى المدينة، وهو شخص يحتفظ بثقافته الأصلية ، ولم يندمج اندماجا كاملا في المجتمع الجديد . لكن هذه الحالة، من وجهة نظر بارك ، ليست سلبية تماما ، بل فيها قدر من الإيجابية ، خاصة أن الإنسان الهامشي يمكن أن يبدأ التغيير والإبداع في مجتمعه.

وسار مفكرون متعددون على درب بارك ، ومنهم أوسكار لويس الذي تناول ثقافة الفقر ، وهو المفهوم الذي كان يضع فقراء الحضر مع الشخصيات الهامشية في معادلة واحدة، ونسبت اليهم مجموعة من الصفات الجوهرية الثقافية – النفسية ، منها : التقليدية،

وعدم الانتماء ، وعدم التكيف ، والاتجاه للعنف ، وافتقاد الطموح واليأس . ثم سار الفكر الإنساني خطوة على يد كل من جانيسبيرلمان ومانويل كاستيلز اللذين انتهيا إلى أن الفقراء في الواقع ليسوا هامشيين ،إنّما هم مهمشون ، بمعنى انهم مستغلون اقتصادياً ، وسياسياً ، واجتماعياً، ومستبعدون ثقافياً من نظام اجتماعي مغلق ، وهو ما يجد تعبيره في فشل سياسات العدالة الاجتماعية)(٤٩).

ومن هنا (تطورت الهامشية إلى الاستبعاد ، بمعنى أن هناك دوراً لتوزيع العوائد داخل النظام الاجتماعي الذي تقوم به الدولة في ظهور المستبعدين والمهمشين . ويعد الفرد مستبعدا اجتماعيا ، إذا لم يكن يشارك في النشاطات السياسية للمجتمع الذي يعيش فيه. ومن ثم، قد يميل هؤلاء المستبعدون الى وضع أسس حركتهم الاجتماعية ، وطرح مطالبهم عبر أساليب متعددة، منها اللجوء للعنف، خاصة اذا فشلت طرقهم الخاصة في الحصول على نصيب ما .

وقد شهدت السنوات الأخيرة ما قبل ثورات الربيع العربي تغيراً مهماً في مفهوم المهمشين أو المستبعدين ، فأصبحت الهامشية تتجاوز الحالة الأصلية للفقراء الحضريين لتشمل أيضاً الموسرين اقتصاديا ، أولئك الذين رغم رخائهم النسبي يعانون تهميشاً سياسياً واجتماعياً بسبب انتمائهم لدين أو عرق معين ، فالأقباط في مصر مثلا يتحدثون عن وضعهم الهامشي في النظام السياسي ، رغم وضعهم الاقتصادي الجيد)(٥٠).

وهكذا ، يمكن القول إن الهامشية لا تدل على موقع بين ثقافتين أو مجتمعين، وإنّما تدل على موقع اجتماعي لمن هو ادنى . فالهامشية هي مسافة أو استبعاد من الاتجاه السائد، بحسبانه موقع السلطة، وهو ما يعني أن يكون المرء مستبعداً من السلطة بكل أشكالها، أو يكون على الجانب المضاد من السيطرة السياسية ، وهو ما يمكن تسميته بـ"السيطرة الاحتياطية أو البديلة". فتغيير الوضعية الاستبعادية رهن بتغيير أوضاع المستبعدين انفسهم. وبهذا المنطق، يمكن النظر إلى التحول الذي طرأ على جماعة الإخوان المسلمين في مصر من جماعة مستبعدة من التيار السياسي السائد إلى جماعة تملك زمام السلطة نفسها خلال عامي ٢٠١٢ – ٢٠١٣ .

ومع الأخذ في الحسبان ما طرحه ميشيل فوكو من قوله " إن تحكم يعني أن تضع شكل وبنية الحقول الممكنة لحركة الآخرين " ، لوجدنا أن مجموعات المستبعدين يمكن أن

تفسد السلطة السائدة وتهدمها، لأنها تسبب باستمرار في إثارة القلق نحو تلويث هذا الاتجاه السائد ، وإيقاع الفوضى في إمكانية السيطرة عليه ، لان هؤلاء المستبعدين قد يميلون إلى تبني أساليب للبقاء خارج سيطرة الدولة ، ونظامها الاجتماعي السائد (٥١).

١-٤-٢- الحرمانDeprivation :

وهذا العامل يرتبط إلى حد كبير بالاستبعاد والتهميش ، وهو (شعور مؤلم بعدم القدرة على الحصول على ما يرغبه الشخص مع حصول الآخرين عليه ، وهو شعور في مجمله يمكن أن يؤدي إلى استخدام العنف في التعبير عنه . وغالبا ما يتولد الشعور بالحرمان في فترة ما قبل الثورة ، لكنه يتزايد في المراحل الانتقالية ، ويتحول إلى حرمان متزايد ، اذا لم تقض الثورة على العوامل المسببة له . والحرمان ليس نوعاً واحداً ،وإنما له نوعان ، أولاهماالحرمان المطلق ، وهو شعور الأفراد بعدم الحصول على أي شيء مما هو حق لهم ، مع الاقتناع بأن الموقف الذي اصبحوا فيه لم يعد محتملا ، وانهم اصبحوا غير قادرين على الاستمرار في الحياة تحت وطأته ، مما يستدعي القيام بأي عمل من شأنه أن يحد من هذا الشعور . وهذا الحرمان له أشكال متعددة ، فهناك الحرمان التعليمي ، والوظيفي ، والاقتصادي ، والاجتماعي . وأياً ما كان نوع الحرمان الذي يشعر به الفرد ، فهو يؤدي في نهاية الأمرإلى الشعور بالاغتراب عن المجتمع ، وتوليد مشاعر السخط ، والاستياء من الواقع المرفوض . أما النوع الآخر ، فهو الحرمان النسبي الذي رآه تيد جير الشرط المسبق للتمرد والعنف ، وعرفه بأنه ادراك القائمين بأحداث العنف للتفاوت بين توقعاتهم ، أي تصورهم للأشياءوالأوضاع التي يعتقدون انهم جديرون بالحصول عليها بشكل مبرر ، وبين قدرات بيئتهم الاجتماعية . أيأن الحرمان النسبي يتركز حول التفاوت المدرك بين توقعات الأفراد القيمية التي يعتقدون انهم يستحقونها على نحو مشروع ، وبين قدراتهم القيمية التي يشعرون بأنهم قادرون على تحصيلها ، أو الاحتفاظ بها . وهذا التفاوت يؤدي إلى فجوة بين التوقعات والواقع (بين ما يتوقع المرء أن يحصل عليه وما يحصل عليه فعلاً) ، الأمر الذي يؤدي بلا شك إلى حالة إحباط لدى أعداد كبيرة من الناس نتيجة لفشلهم في تحقيق أهدافهم وطموحاتهم)(٥٢) .

١-٤-٣- ارتفاع سقف التوقعات، وله علاقة مباشرة أيضاً بكل من الاستبعاد والتهميش والحرمان . والتوقع المقصود هنا ، هو إدراك في حد ذاته ، فهو عملية تجمع بين العقل والمنطق ، وبين الشعور والإحساس (وتستخدم فيه عمليات نفسية تقوم على استخدام

التخيلات، والإبداع ، والمرونة الإدراكية والمعرفية ، والاستكشاف العقلي . وغالباً ما يقوم الأفراد بمحاولات للتوقع بحثا عن الأمان ، وتزداد هذه المحاولات عقب الأحداث الكبرى التي يمر بها الشخص في حياته الخاصة ، أو يمر بها مجتمعه ككل . من هذه الأحداث الثورات المجتمعية التي غالبا ما يرتفع عقبها سقف توقعات الأفراد ، لان الثورة في إدراكهم هي لحظة تاريخية تفصل بين ما هو مرفوض وما هو مقبول . ولذلك فعقب إسقاط النظام القديم ، يدخل المجتمع في مرحلة يطلق عليها " الرومانسية الثورية " ، وهي المرحلة التي تعقب سقوط النظام ، ويسود فيها الشعور بحتمية التخلص من كل رموز وأشخاص الماضي ، كما ترتبط بدرجة عالية من الحنق على الأوضاع التي كانت سائدة من قبل . وترتفع خلال هذه المرحلة توقعات أفراد الشعب لما سيحدث بعد الثورة ، ويطلق البعض على هذه المرحلة " ثورة التوقعات المتزايدة " ، لأن طموحات الشعب في هذه المرحلة تكون في اعلى مستوياتها . وبناء عليه ، يصبح الأفراد اكثر عرضة للمشاعر السلبية ، خاصة الإحباط ، لانهم يتوقعون التغيير ، وينتظرونه في اسرع وقت ، كما انهم لا يقبلون بالحلول الوسط التي كثيرا ما قبلوها من قبل ، ولا يتنازلون عن إرادتهم بسهولة ، وتصبح رغباتهم لها الأولوية في التحقيق بغض النظر عن الوسائل)[٥٣] .

١–٤–٤– التحولات الاجتماعية والسلوكية المصاحبة للانتقال من مجتمع قديم إلى آخر جديد

بمعنى التغيرات التي تصاحب الحراك الجماهيري الكبير والنوعي على شاكلة الانتفاضات والثورات ، كما هو الحال مع أحداث الربيع العربي .. اذ ينظر (البعض) إلى أن (العنف هو القابلة القانونية لكل مجتمع قديم يحمل بداخله مجتمعاً جديداً)[٥٤] . كما يرى (البعض) في هذه التحولات الكبرى انهياراً للقيم التي ألفها وتعوَّد عليها ، بحسبانها مرحلة تنزاح فيها (القشرة الاجتماعية ، أو الطلاء الاجتماعي عن الشعوب ، وتتراخى القوى الكابحة للطبيعة الإنسانية المتمثلة في العادات الدينية ، والأخلاقية ، والقانونية ، والتي يبدو أن الثورة تتحيز ضدها ، ومن ثم ، تستعيد كل الاستجابات الموروثة المنعكسة كل حريتها . وبناء عليه، تحدث في مجتمعات ما بعد الثورة تغيرات قيمية ، واجتماعية ، وسلوكية ، يصاحبها أحياناً فوضى أخلاقية وانهيار في قيم المجتمع ، خاصة القيم الإيجابية مثل التسامح ، والعدل ، والاحترام ، وذلك لان الثورة في حد ذاتها تؤدي إلى إسقاط حاجز الخوف لدى

أفراد الشعب ، كما تؤدي إلى تراخي القبضة الحاكمة للقيم والأخلاق "الضبط الاجتماعي"، وكذلك قبضة الأمن التي تؤدي إلى تخطي القوانين الاجتماعية الضابطة للمجتمع، واهمها العقاب على ما يقترف من أفعال تخالف هذه القوانين .

وبهذا ، تصبح الثقافة السائدة في المجتمع ، بعد سنوات طويلة من الحرمان والقهر، هي ثقافة "الحرية المطلقة"، وهي حرية مغلوطة لا تقف عند حدود حرية الآخر ، وإنما تتعداها لتصيب حريات أشخاص آخرين ، وهي حرية مزيفة ناتجة عن سنوات من الكبت النفسي ، وليست حرية حقيقية ناجمة عن خبرة تاريخية ، وإيمان مجتمعي بها .

ويؤدي غياب السلطة الاجتماعية والأخلاقية في مجتمعات ما بعد التغيير الى انتشار العدوان، والتمرد، والعنف. فالسلطة تمثل دوما عامل الضبط للفرد والمجتمع ، فاذا غابت سلطة الضمير لدى الفرد، اضطربت شخصيته.أمّا إذا خلا المجتمع من سلطة ضابطة ،فان هذا المجتمع إنّما يحرض أفراده وجماعاته بشكل غير مباشر على استخدام العنف ، اذ يلجأون بأنفسهم إلى ممارسة السلطة، وتوقيع العقاب، ولكن بطريقة انتقامية تفتقد للرحمة والتسامح) [٥٥] .

١-٤-٥- الحرب

إنّ الحرب وخوض غمارها توَّلد حالات من الإحباط والقلق ،لأنه إبان المعارك يكبت الإنسان مشاعره، فتأتي ردّات الفعل من اللاوعي كسلوك لإعادة التوازن ، فتظهر العدوانية عندما يقوم بهجمات متنوعة ومتعددة.

وتوّلد العدوانية أمراضاً سلوكية ، كالتعويض compensation والتوَّحد والتبرير والنفي وأحلام اليقظة والإسقاط والنكوص Regressionوالإزاحة[٥٦] .

١-٤-٦- التفاوت الطبقي أو التناقضات الطبقية الحادة ، والتوزيع غير العادل للثروة والسلطة .

عندها -كما يقول كارل ماركس١٨١٨-١٨٨٣- يصبح العنف فيه أداة لتصحيحه [٥٧].

وحالياً يرى كثير من المنظرين الأميركيين المعاصرين أن الفجوة الطبقية باتت تهدد التفوق الأمريكي على الصعيد العالمي ، في ظل وجود طبقة تشكل ١% من المجتمع الأمريكي تستحوذ على كل شيء ! مقابل أغلبية تعاني الكثير من المصاعب ، وهنا يقول الباحث الأمريكي كيرت أم. كامبل : (تبقى الحقيقة أن تحقيق تفاعل أمريكي نشط ومستديم على الصعيد الدولي يرتبط حتما بمستوى صحة وقوة مجتمعنا الداخلي ، الذي تهدده الفجوة المتفاقمة في الدخول)[٥٨] .

١-٤-٧- الفجوة بين الأجيال

وهي فجوة اجتماعية ثقافية (قيمية) ، وهذه الفجوة تزداد اتساعا وعمقا بفعل الثورة الرقمية ، التي أحدثت تقاطعا اجتماعيا بين الأجيال العربية ، رافقها فجوة لغوية بفعل الاختصار في المفردات واستعمال مقاطع لغوية غير عربية كثيرة من قبل الشباب ، وهذا نوع من التمرد على الجيل السابق وهو تمرد يفضي إلى نوع من التوتر بل التصدع في بنى المجتمع ، الذي ربما يؤدي إلى تفككه أن لم يجد من يتدارك الأمر ، بما يحفظ وحدة المجتمع من جهة ويراعي المتغيرات والمستجدات الناشئة عن الثورة الرقمية ، بما تنطوي عليه من أجهزة التواصل الحديثة ، والهواتف والألواح المحمولة الذكية والحواسيب المنقولة وغيرها .

١-٤-٨- تراجع الدور الاجتماعي (الخدمي/التنموي) للدولة ..

ويتمثل هذا التراجع في نواحي عدة ، منها: عدم قيام الدولة بوظائفها الاجتماعية على النحو المطلوب ، تراجع معالجة وضع الشرائح الضعيفة في المجتمع ، مثل الأرامل والمطلقات والأيتام والشيوخ ، وإهمال القطاع الخدمي والبنية التحتية ، مما يؤدي إلى حرمان الفقراء من خدمات الماء الصافي والكهرباء والصرف الصحي وغيرها . الأمر الذي يؤدي في المحصلة إلى ازدياد شرائح الفقراء والمهمشين . ففي العراق وتحديداً في محافظة بغداد/العاصمة ، – ووفقا لما ذكره مجلس المحافظة – ، إن هناك عدداً كبيراً من الأحياء العشوائية ، وهي أحياء غير نظامية نشأت وتبلورت من غير تخطيط أو موافقة رسمية .

وبدوره قال (عضو مجلس محافظة بغداد ، غالب الزاملي ، إن " ما صرف على بغداد لا يتناسب مع واقعها الحالي فالعاصمة مدمرة وبعض شوارعها تملؤها المياه الآسنة التي لا تليق بمظهر بغداد الحقيقي كما عرفناه في السابق " ، وعن الأموال التي صرفت على مشاريع تطوير أحياء وشوارع العاصمة أكمل الزامليإن " ابسط مشروع لتطوير العاصمة كلف

(١٥٠) مليون دولار وهناك كمشاريع أموالها ضخمة مثل مشاريع المجاري التي وصلت تكاليفها إلى(٧٠) مليار دينار " .

وتابع الزاملي " بغداد تحتاج إلى مجمعات سكنية في ظل وجود (٢٥٠) مجمعا عشوائيا في العاصمة والذي يبلغ عدد سكناه مليون ونصف المليون مواطن، بالإضافة إلى ضرورة توفير خدمات ارقى وافضل مما عليه الآن " ، مؤكدا "ضرورة الحفاظ على هوية بغداد وتراثها الحضاري وهويتها فالمنازل الأثرية وشوارعها الحضارية يجب أن تستمر في وجودها وعدم نسيانها وإهمالها ، وابسط مثال على ذلك هو شارع الرشيد الذي دخل ضمن الشوارع التي ستعمر بمناسبة مهرجان بغداد عاصمة الثقافة العربية ، ولم نرَأي شيء ملموس على شارع الرشيد رغم المبالغ التي صرفت عليه " .

وفي السياق نفسه بين مقرر مجلس محافظة بغداد ، فرحان قاسم ، " لم نلمس أي تغيير على واقع بغداد برغم الأموال التي صرفت عليها في السنوات الأخيرة ، فنرى التخطيط في جانب والتنفيذ في جانب آخر ، فواقع بغداد سيء جدا فما صرف عليها من مبالغ لتطوير العاصمة هي مبالغ ضخمة وكبيرة جدا " .

وزاد قاسم إن " المدينة خربة وشوارعها ليس بالمستوى الذي كنا نطمح إليه فضلاً عن انعدام الخدمات الجيدة للمواطن"، مشيراًإلى " وجود ٢٥٠ مجمعاً عشوائياً في بغداد اذ يسكنها أكثر من مليون ونصف مليون مواطن، وعلى ذلك نحتاج اليوم إلى (٨٠٠) ألف وحدة سكنية والسكن يحتاج إلى حملة وطنية من قبل وزارات ومؤسسات معنية بالأمر ، ونحتاج أيضاً ٣٠ مستشفى"، منوها بان "بغداد تشكو من توقف اكثر من (٧٠٠) مشروع بسبب تأخر إقرار الموازنة العامة")(٥٩)(*).

إن أجواءً كهذه لا تشجع أبداً ، على قيام مجتمع مستقر ولا ريب، بل على العكس ، أنها تدفع كثير من الشباب نحو الانخراط في منظومات تمارس العنف بشتى أنواعه ، بما فيه العنف السياسي . وهذا للأسف ما نلاحظه كل يوم متجسدا في أعمال الخطف والسرقة والاغتيالات والتفجيرات الإجرامية التي تحصد عشرات الأرواح شهريا . وهنا يقول مُحَّمد الربيعي – عضو مجلس محافظة بغداد- : (يوجد في بغداد عمليات خطف وسلب وانتشرت بصورة كبيرة ، وهم موجودون (العصابات) في داخل العاصمة ، وفي أماكن معروفة). وأوضح

أن (أغلب المناطق تحتوي على عصابات) ؛ ولا يمكن (تحديدها بالعشوائيات بصورة خاصة)[٦٠][**] .

بدورها بيّنت رئيسة منظمة الأمل الناشطة هناء أدور ، إن (" بغداد مدينة مهدمة وانا شخصياً أسميت احتفال أمانة بغداد بيوم العاصمة الذي جرى قبل ايام بانه احتفال على خراب بغداد وليس احتفالا بيومها، فهذا الاحتفال هو من المظاهر الصوتية ومدعاة لمحبي الكلام والمظهر".

وأضافت أدور إن " بغداد تشوبها عدة مشكلات من نقص في الخدمات إلى رداءة المدارس والبنى التحتية ووعورة الطرق ومشكلة مجاري الأمطار والمياه الآسنة ، وهذه تضاف إلى مشكلات اجتماعية أخرى للمواطن البغدادي خاصة والعراقي بصورة عامة إلى جانب كثرة الطلاق وازدياد عدد الأرامل والعازبات والشباب العاطلين عن العمل والأطفال المشردين ، وهذا مما يزيد من العنف وقسوة المجتمع الذي بدأ يفقد أعصابه يوميا " .

وأشارت إلى أن " الهوية البغدادية في وضع خطير جدا واصبح هناك فرز للمكونات وهذا مقلق للحياة المدنية فكل منطقة لها هوية بمعزل عن المنطقة الأخرى ، فسابقا كنا لا نبالي اذا زرنا احدى مناطق بغداد بسبب ما كانت عليه من مدنية وتحضر عكس ما نعيشه اليوم من تهميش لمكونات دون أخرى ، فبالأمس كانت الهوية عراقية واليوم أمست الهوية هي الانتماء لمكون معين " .

وعن السلوك الاجتماعي والتركيبة الاجتماعيةأفادت أدور بأن " السلوك الاجتماعي متشظ ومفرغ من القيم والمسبب الأساسي لذلك هي الأنظمة السياسية المتعاقبة على السلطة ، فضلاً عن الخراب الذي لحق بنا بعد سنة ٢٠٠٣ اذ يعد تكملة لما عاناه العراق من العقوبات الاقتصادية ")[٦١] .

١-٥- أسباب ثقافية / سياسية

يبدو أن هناك ثلة من محفزات ثقافية لا تخلو من خلفية سياسية تدفع نحو العنف والتوتر، وهي لا تقتصر على البلدان المتخلفة ، بل تتعداها إلى الدول المتقدمة . ومن هذه المحفزات نذكر :

١-٥-١- المحفزالهوياتي: (اذ إن الهوية قد تتحول إلى سلاح عنيف ضد الآخرين ، عندما يتلبسها لباس الشوفينية تجاه الآخرين ، فترى جماعة ما –أياً كانت انتماءاتها الأولية (دينية ،

طائفية ، مناطقية) – أن هويتها ارقى من الآخرين ، بما يسوغ لها ممارسة الإقصاء والاستبعاد للآخرين . ولعل الثورات العربية أفرزت محفزاًهوياتياً للعنف ، اذ انه مع الصعود السياسي للتيارات الإسلامية بمشاربها المختلفة في مصر وتونس وليبيا ، في مرحلة ما بعد الثورة ، بدا ان هنالك صداماً أيديولوجيا ، خاصة مع التيارات المدنية (الليبرالية واليسارية وغيرها) على شكل الحياة ونمطها، ورؤية دولة ما بعد التغيير ، وتجلى ذلك في الاستقطاب الحاد بين التيارين حول العديد من القضايا المفصلية في مرحلة ما بعد التغيير ، مثل الدستور والانتخابات وغيرهما ، بل إن الصراع تحول للعنف في حالات عديدة في الدول الثلاث)[٦٢]

.

ويشهد العراق منذ عام ٢٠٠٣ صراعات عدة ، منها الصراع الثقافي/ السياسي الذي بات ينحصر في اطار المحاصصة السياسية القائمة على أسس قومية وطائفية ودينية ، مما أدى إلى أعلاء شأن الثقافات الفرعية على حساب الثقافة الوطنية العراقية الجامعة .

وهنا يقول نشطاء في المجتمع المدني العراقي (إن بغداد فقدت هويتها المتنوعة دينيا ومذهبياً وقومياً)، مما (قد يلغي جذورها المدنية وحتى سلوكها الاجتماعي)[٦٣].

وعن البيئة الاجتماعية للعاصمة بغداد ،أوضح فرحان قاسم ، مقرر مجلس محافظة بغداد ("للأسف تأثرت البيئة الاجتماعية في بغداد لما آل إليه الوضع السياسي من انقسامات ومخاصمات ونزاعات على السلطة وهذا كله بسبب نظام المحاصصة الطائفية الذي نخر جسد النظام البنيوي السياسي والنظام الاجتماعي العراقي، مما أدى إلى تراكم أزمات سياسية كثيرة وكبيرة انعكست بشكل سلبي على المجتمع، فنرى اليوم تهميشا لمكونات دون أخرى التي تعد هي اصل بغداد ومن العوائل التاريخية المهمة".

أما بخصوص تراث بغداد وتاريخها الحضاري أفاد قاسم " توجد في بغداد اربع مناطق تراثية هي الرصافة والكرخ القديمة والأعظمية والكاظمية وهذه تتعرض إلى عدم احترام لتراثها،وأمانة بغداد تمارس عملية التهديم فالبيوت التراثية بدأت تهدم وتباع كأراض".

إلى ذلك يقول الباحث في مجال الانثروبولوجي ، علاء حميد ، إن " بيئة بغداد الاجتماعية غير مستقرة في ظل وجود خلاف ما بين تصورين الأول تصور رسمي ويتمثل بالدولة ومؤسساتها والثاني تصور غير رسمي متمثل بالمجتمع إضافة إلى تراكمات كبيرة كانت نتائجها سيئة على المجتمع وهذا سبب في عدم استقرار البيئة الاجتماعية لبغداد " .

ونوه حميد بأن " التعددية الاجتماعية والدينية والمذهبية بدأت بالتقلص في بغداد، فالكثير من الباحثين قد لاحظوا ذلك عن طريق إحصائيات ودراسات بينت أن هناك مكونات بدأت تقلص نفوذها في بغداد بشكل خاص وفي العراق بشكل عام ، وهذه من الممكن أن تعود عندما يتوفر الاستقرار العام في المجتمع بما فيه السياسي والاقتصادي "، واكمل حميد " للأسف لا توجد هوية لبغداد فلكل منطقة قوانين اجتماعية في ما يخص الملبس والسلوك والعادات ، ولو كان التعدد ضمن السياق العام فسوف لن يلغي الهوية البغدادية " .

وعن السلوك الاجتماعي للفرد البغدادي أكد حميد إن " السلوك العام هو نسبي وتتحكم بأمره مسألتان الأولى هي السلطة والوضع السياسي والثانية هي الاقتصاد ، ونحن لا نستطيع أن نحكم على السلوك اذا ما كان جيداًأم لا دون التطرق لعملية البحث والدراسة " [٦٤].

ويصور لنا احد الكتاب حال بغداد عن طريق روحها وقلبها ، ألا وهو شارع الرشيد ، ليرثي ما آل إليه هذا الصرح التراثي ، فيقول : (لا يبدو المشهد الذي ترسمه لقطة ، صورها الفنان المسرحي عبد الجبار الجنابي ، وسط شارع الرشيد ببغداد ، الجمعة الماضية (٢١/١١/٢٠١٤) ، إلاّ تجسيداً لخراب المكان وحيرة البشر ، فالمطرح الذي كان قلب بغداد إلى حين قريب ، لا يبدو أقرب إلى الهدم وحسب ، بل هو يلفظ أنفاسه الأخيرة، حتى أن الصورة تبدو في " غرائبياتها " بعيدة عن المعنى الذي شكله شارع الرشيد، عميقا في روح بغداد وتاريخها المعاصر)[٦٥] .

إن وضعيته تمثل الآن (انحطاطاً قيمياً حالياً) وانزواء (للروح المدنية في عموم البلاد، وفي بغداد على نحو خاص). لصالح قيم البداوة والخشونة التي تمهد لـ(ثقافة عنيفة) [٦٦] .

ونشأت عن عمليات المحاصصة وسياسة المكونات القومية والطائفية والدينية (التعامل مع المناصب والمواقع والمراكز السياسية والرسمية ، وفقا للانتماء القومي / الديني / المذهبي) ، نتائج سلبية منها ، الهجرة والتهجير من منطقة إلى أخرى داخل العراق وخارجه . ان نزوح المواطنين عن ديارهم وبأعداد كبيرة أدى إلى بروز ظاهرة النزوح والنازحين ولا ريب، والذين قدرت أعدادهم في نهاية عام ٢٠١٤ بأكثر من مليوني شخص[٦٧][*] ؛ مع ما يرافق ذلك من مشكلات على صعيد الإيواء والتعليم والعلاج والغذاء ، فضلاًعن تكوين بيئة

حاضنة للعنف بشتى ألوانه وصنوفه . وهنا يقول أحد الباحثين (هناك وثائقيات غربية محايدة عن مجتمعات الارهاب ، فيها الكثير من الدلالات الخطيرة على تحول الإرهاب لفكرة مجتمعية. بمعنى إن هناك أجيالاً متعددة الآن في المخيمات ومناطق التوتر ستلعب دورا محوريا في الفترات المقبلة)[٦٨] .

وعن خطورة العشوائيات ولجوء كثير من النازحين إليها ، حذرت اللجنة الأمنية في مجلس محافظة بغداد في ٢٦ / تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠١٤ ، من تحول البيوت العشوائية أو ما يعرف بالحواسم إلى ملاذ لعصابات إجرامية ، للتخطيط في استهداف المواطنين بعمليات إرهابية ... وغالبا ما يحذر المختصون في قضايا الأمن من تنامي أعدادالبيوت العشوائية واستغلال المسلحين للعوائل الفقيرة فيها وزجهم في ارتكاب جرائم مقابل المال[٦٩] .

ووفقاً لما يقول سعد المطلبي عضو اللجنة الأمنية في مجلس محافظة بغداد، إن العصابات الإجرامية (تستغل الدور المشيدة في مناطق العشوائيات لتنفيذ مخططاتهم الإجرامية في المحافظة) ، مبيناً أن (تلك المساكن غير مسجلة لدى دائرة التسجيل العقاري أو الجهات الأمنية المختصة) [٧٠] .

ومن جهته قال عضو مجلس محافظة بغداد (علي سرهيد) ، (ليست المناطق العشوائية هي فقط تحوي المجاميع الإرهابية ، فأي منطقة يدخلها أناس جدد (كالنازحين) بدون علم المجالس البلدية أو الدوائر الأمنية التي تأخذ معلوماتهم، فممكن أن تستغل هذه المناطق من قبل الجماعات الإرهابية ، فالعشوائيات منتشرة في مناطق بغداد كافة وفي حدود الأمانة) .

مضيفاً أن (الحل لمشكل العشوائيات يحتاج إلى قرار من الحكومة الاتحادية برفع جميع التجاوزات عن عموم المحافظات التي تشهد وجود عشوائيات ، فهذه الأحياء باتت تشكل مشكلة ليس في بغداد فقط . فنحتاج إلى قرار جريء برفع هذه التجاوزات ،وبالأخص أن هذه التجاوزات باتت تؤثر في مشاريع الحكومة المحلية وخططها)[٧١] .

وعيله فان الأمر يتطلب وقفة جادة لإنهاء ملف النازحين بأسرع وقت ممكن، باعتماد سياسة وطنية جامعة[*] .

١-٥-٢- المحفز العنصري

يعد التعصب العنصري ،ومترادفاته الطائفية والدينية والقومية وغيرها فكرة (مدمرة لا دين لها ولا يستثني شرها أحدا)[٧٢] وهي فكرة تدفع – إن لم تجد من يردعها ويكبح شرها– نحو العنف والقتل، حتى من قبل الأجهزة الرسمية المكلفة بحماية أمن المواطن وحياته، مثلما حصل في التاسع من شهر آب/أغسطس ٢٠١٤ في مدينة فيرغسون الأمريكية بولاية ميسوري (وسط البلاد)، عندما أطلق ضابط (أبيض) واسمه دارين ويلسون النار على شاب (أسود) وأسمه مايكل براون (١٨ سنة) ، حيث أرداه قتيلا بعد أن سدد إليه ١٢ رصاصة من سلاحه الرسمي . وأثار هذا الحادث موجة من الاحتجاجات والتظاهرات في مدن أمريكية عدة، لاسيما بعد قرار لجنة المحلفين عدم توجيه اتهامات جنائية للضابط عن الواقعة الأليمة[٧٣] .

ويبدو الجانب العنصري واضحا في المسألة، عن طريق استكناه فحوى الشعارات التي رفعت خلال التظاهرات ، لاسيما تلك التي خرجت بعد قرار البراءة الصادر عن هيئة المحلفين المكونة من ١٢ شخص ، ٩ منهم بيض ، وثلاثة فقط من السود . إذ رددت إحدى الأمريكيات معلقة على القرار (إن الأمريكيين المنحدرين من أصول أفريقية لا يعدون كبقية البشر) ، بمعنى أنهم يعانون من العنصرية Racism إلى درجة تعرضهم للقتل ، كما حصل مع الشاب مايكل براون . وظهر ذلك على لافتات المتظاهرين ، التي كتب عليها (العنصرية تقتل) . وندد بعضها بـ (عنصرية الشرطة) و(أوقفوا ترهيب الشرطة العنصري)، و(حياة السود لها أهمية)[٧٤][*] .

وهذا يعني ان العنصرية ، قد تكون دافعا قويا للعنف إلى درجة القتل ، وهذا ما كان شائعا ليس في الولايات المتحدة ، وإنما في دول أخرى ، منها جمهورية جنوب أفريقيا قبل تحررها من الحكم العنصري عام ١٩٩٤ .

١ – ٥– ٣– المحفز القيمي

ليس هناك أسوأ من التحريض Provocation ، الذي يستخدم تحت واجهات جميلة ونبيلة تتخذ من الدين والقيم العليا ، ذريعة لاستخدام العنف ضد الآخر . وهي ذريعة ينطبق عليها القول المأثور (كلمة حق يراد بها باطل) فللأسف هناك رجال (دين) و (ساسة) – في كل زمان ومكان – يشاركون من حيث يعلمون أو لا يعلمون في التحريض على العنف ، وشيطنة الآخر ، وجعل الأمر كأنه نضال أو جهاد .

وهنـا يقـول المفكـر الفرنسـي اليكسـي دوتوكفيـل(*) ١٨٠٥ – ١٨٥٩ سـنة ١٨٥٦، (ليس ثمة مثال بالغ الخطورة كالعنف المستخدم لأهداف نبيلة من قبل أناس سليمي النية)[٧٥] .

ويتساءل جون كين صاحب كتاب العنف والديمقراطية ، ماذا نتوقع من مجتمعات تحولت بفعل التحريض إلى قطعان ، سوى إنجاب حكومة من الذئاب[٧٦]! والذئاب – كما هو معروف – لا هم لها سوى افتراس ومهاجمتهم الاخرين .

لذا تخلص كارين ارمسترونغ – والتي نوهت الدراسة عنها في موضع سابق – في كتابها (حقول الدم) ، إلى أن المشكلة لا تكمن في الدين أو الإيمان إطلاقاً ، وإنما في هؤلاء الذين يستغلون القيم النبيلة في الدين لتحقيق مآرب سياسية بعيدة كل البعد عن جوهر الدين ، لذا تقول : (ليس الدين هو سبب العنف، بل اتباع الدين هم السبب ، ولكن "وهنا تثير غضب الكثير ممن ينتقدونها" ، ليس بسبب الإيمان بالدين)[٧٧] .

وتقول في موضع لاحق ، لكن أكثر تحديداً (ليس الدين ولكن السياسة ، هي سبب العنف الذي يجتاح العالم الإسلامي اليوم)[٧٨] .

وهذا صحيح جداً، لأن الإسلام بطبعه دين الرحمة [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ][٧٩] ؛ ودين المحبة .. إذ ورد في الأثر عن النبي الأكرم مُحَّد (ﷺ)، حب لأخيك ما تحب لنفسك ... لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه . وأي إنسان مهما كان لونه أو دينه، هو نظير لنا في الخلق –كما ذهب إلى ذلك الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)– ومن ثم، فإن استخدام العنف ليس من طبائع الإسلام، إلا عند الضرورة ورفع الضرر، الذي لا يمكن تفاديه أبدا إلا بالقوة المشروعة .

٦. أسباب اقتصادية

أن كثيراً من الأسباب الاقتصادية المفضية إلى العنف قد وردت متداخلة مع الأسباب السالفة لا ريب ولكن منهجية البحث تفرض أن نفرد لها فقرة خاصة.

وهنا نقول إن تردي الوضع الاقتصادي لشرائح كثيرة من الناس ، ورغبة المجتمع في جني ثمار التغيير في كثير من البلدان العربية سريعا ، فضلا عن غياب سياسات جذرية لمعالجة العدالة الاجتماعية وتوزيع الثروات .. كل ذلك خلف احتجاجات واعتصامات فئوية كانت

بمثابة بيئة حاضنة للعنف . فكثير من الفقراء والمعدمين لا يقيمون وزنا لفكرة الاستقرار الاجتماعي ، ويجدون في العنف متنفسا للتعبير عن غضبهم من السياسات القائمة[٨٠] .

ولعل ارتفاع سقف التوقعات بعد سقوط كثير من الأنظمة الاستبدادية مع بقاء الوضع الاقتصادي متدهورا ، قد زاد من معدلات العنف ، علاوة على إحساس المواطن العربي ، بإنه قد نال أقل مما يستحق ، مما يدفعه إلى محاولة تحقيق مطالبه ، وإن لجأ البعض أحيانا إلى العنف ، لا سيما في ظل سلطة غير رادعة أو متراخية ، ومؤسسات ضعيفة ، أو فاقدة لأي فاعلية[٨١] .

إذ – وكما يقول عالم النفس الأشهر – سيغموند فرويد – عام ١٩٣٢ – إنه (لا يمكن تفادي ممارسة العنف عندما توضع المصالح المتضاربة على المحك)[٨٢]. وعن الوضع الاقتصادي وضغوط السوق وانعكاس ذلك على شخصية المواطن العراقي وسلوكه ، يقول الباحث عدنان ياسين : (أتسم الوضع المعيشي في العراق بالتدهور وانتشار ظاهرة الفقر في مظاهره المختلفة والبطالة ، وذلك على الرغم من التحسن النسبي في مستويات الدخل الذي تحقق بعد ٢٠٠٣ . إذ ما يزال هذا الوضع ضاغطا على شرائح واسعة جدا من الشعب العراقي ، مما جعل من تلبية الحاجات الأساسيةأولوية ضاغطة على برامج التنمية المتوسطة والبعيدة المدى)[٨٣].

لقد فاقمت ظروف الأزمات والحروب والصراعات السياسية خلال العقود الثلاثة الأخيرة من المشكلات والتحديات ، مما أدى إلى إهدار الثروات وتبديد الموارد وتخلف الاقتصاد وتفاقم مشكلاته ، وأبرزها:

- اتساع مساحة الفقر والفئات الضعيفة
- ارتفاع معدلات البطالة وضآلة دور القطاع الخاص في النشاط الاقتصادي.
- تراجع المستوى التعليمي والصحي بعد أن كانا الأحسن في المنطقة .
- تقادم البنى التحتية وعجزها عن تلبية الحدود الدنيا من احتياجات المواطن.
- تراجع الاستثمار الحقيقي ومعدلات النمو الاقتصادي .
- اعتماد الدولة في النشاط الاقتصادي في البلاد على مصدر واحد للتمويل هو النفط[٨٤].

وسوق النفط كما هو معروف متذبذة ، فبعد أن كان سعر البرميل ، مطلع العام ٢٠١٤، أكثر من ١٠٠ دولار ، أنتهى إلى ٦٤ دولار عند أواخره(*) . كل هذه المتغيرات تنعكس بشكل أو آخر على مناسيب العنف ، وتجعلها دائما عند مقياس مرتفع .

ونرجع إلى الباحث (مصطفى) ، لأنه – وبحكم تخصصه السوسيولوجي–، يضفي مسحة اجتماعية على المتغير الاقتصادي فيقول : (إن ضغوط السوق المتعاظمة وعدم وجود شبكات أمان اجتماعي فاعل (أو هشاشة وجودها) وارتفاع مستويات التضخم وبشكل غير مسبوق قد ترك أثارا بنيوية على المجتمع ، تدهورت بموجبها الكثير من القيم والمعايير التي تمثل السداة التي تمسك لحمة الخيوط الدقيقة لضمان أمن المجتمع واستقراره ، وهي القيم التي ظل الإنسان العراقي يعتز ويتفاخر بها ، فتآكلت معايير الحلال والحرام ، وحلت روح الاستباق محل المنافسة الشريفة)(٨٥).

ونختم هنا مع الباحث السوسيولوجي العراقي كريم مُحَمَّد حمزة ، الذي يرى في الفقر، بل في ثنائية الفقر والشباب معادلة متلازمة في ارتفاع معدلات العنف ، لاسيما الدامي منه ، إذ يقول :

أظهرت دراسات عدة (إن المنتمين إلى جماعات تمارس العنف ، هم من فئة الشباب، وأنهم من أسر فقيرة مهشمة (ومهمشة) ، وأن مستوياتهم التعليمية متدنية وأشارت ملاحظات ميدانية من محافظة ديالى أن فتيانا أو شبابا يلتحقون بالجماعات المسلحة التي تمارس عنفاً دموياً جمعياً للحصول على المال أو ثأراً لمن قتل من أفراد أسرهم)(٨٦) .

١ – ٧– أسباب سياسية

مثلما هو الأمر مع الأسباب الأخرى المفضية للعنف ، تطرح الأسباب السياسية نفسها متداخلة مع غيرها من الأسباب ، لكننا هنا نحاول تلمس ما صفا من هذه الأسباب، وإن كانت الصوافي نادرة، فالسياسة دائما مشوبة ومتداخلة مع متغيرات أخرى لأنها في الأساس متغلغلة في الأشياء كلها !

ولأغراض المنهجية تفرز الدراسة بعضا من هذه الأسباب فرادى ، وإن كانت على ارض الواقع متشابكة مع غيرها :

١ – ٧– ١– ضعف الدولة في مرحلة التغيير والتحول الديمقراطي

فإذا كان الحراك الجماهيري العربي – لاسيما بعد عام ٢٠١١ – قد كرس لضعف الدولة ، وتغول المجتمع عليها ، فأن الدولة نفسها لم تقدم على إعادة هيبتها في مرحلة ما بعد الحراك الجماهيري اذ لم تستطع إعادة المكانة لوظائفها التنموية والأمنية والتوزيعية ، فمثلاً لا تزال المجتمعات ترى أن أداء مؤسسات دول الربيع العربي في ملف الأمن ضعيفاً ، ولم يلب الحاجة المجتمعية للأمان . كما أن الهياكل البيروقراطية لا تزال تعمل بالعلائق الزبائنية نفسها، ومن ثم فضعف الدولة أغرى باستمرار العدوان عليها وأوجد بيئة محفزة للعنف(٨٧).

إذن ، من أسباب العنف في شكله السياسي ، هو قصور الدولة في أدائها لوظائفها ككيان محايد يسعى إلى تحقيق مصالح القطاعات الأوسع من المواطنين ، عن طريق إعمال مبادئ المساواة والعدالة الاجتماعية ، كما ذهب قديما جون لوك ١٦٣٢–١٧٠٤ ، وجان جاك روسو ١٧١٢–١٧٧٨ ، وهو ما وجد ترجمته في الأدبيات المعاصرة – خاصة أدبيات الانتقال والتحول الديمقراطي – التي تنظر إلى الخروج الشعبي على النظام السلطوي على أنه إحدى أليات التحول عن هذا النظام ، رغبة في بناء نظام سياسي أفضل(٨٨).

إذن ، فالعنف هو بمثابة (مرآة عاكسة للبيئة المحيطة بكل إشكالاتها ، وترتبط درجة ديمومته من عدمها في المجتمع بطبيعة تعاطي الأنظمة الجديدة في مراحل ما بعد التغيير مع تلك المحفزات . فكلما كان العنف أكثر تعبيراً عن عوامل بنائية كغياب العدالة أو الحرمان النسبي للمجتمع ، أو ضعف الدولة في تطبيق القانون ، وغياب احتكار القوة المشروعة ، أو محاولة فئة معينة الاستحواذ على الثروة والسلطة ، وإقصاء بقية المجتمع ، أكتسب العنف تجذرا في المجتمع ، بل وتطورت أنماطه ودرجاته حدته ، خاصة إذا لم تنتهج السلطات الحاكمةفي مراحل ما بعد التغيير من السياسات ما يوحى للمجتمع بأنها جادة ، أو على الأقل تسوق له حلما متبوعا بسياسات واضحة متفق عليها بين اطراف المجتمع ، تقلل من حوافز العنف)(٨٩) .

١ – ٧– ٢– العزل السياسي ، يذهب أحد الباحثين إلى القول – في ضوء بعض المحطات التي مر بها قطار الربيع العربي – (إن المجتمعات التي تربت في كنف أنظمة استبدادية تتأثر سلوكيا وقيميا في مرحلة ما بعد التغيير فتنتاب المجتمع أعراض التشفي والثأر وغياب التسامح والعزل لبعض الفئات دون أسانيد موضوعية ، أو مراعاة لحقوق الإنسان ، كما حدث في بعض حالات العزل السياسي ، سواء في مصر أو ليبيا مما وفر بيئة دافعة للعنف مع المختلفين فكريا أو حتى الرافضين لعملية التغيير . ومن جانب آخر فان التوقعات المتزايدة

داخل المجتمعات لما يمكن أن تنجزه الثورة اصطدمت بتحديات الواقع الأمر الذي عمق ظواهر الإحباط والحرمان والغضب الممهد للعنف)(٩٠).

١-٧-٣- الاستقطاب أو التجاذب السياسي الحاد، بعد أحداث الربيع العربي. إذ أن الاستقطاب السياسي (يوفر بيئة حاضنة للعنف ،فالمجتمعات – التي بها انقسامات سياسية عميقة – التي قد تتأسس على اختلاف إثني أو عرقي أو ديني – يمكن أن يصل بها العنف إلى مرحلة قصوى عن طريق التطهير العرقي أو الإبادات الجماعية ، بينما في المقابل فان المجتمعات المستقرة التي تتسم بدرجة كبيرة من التوافق ، وتوجد فيها مؤسسات قانونية وأمنية، يقل فيها العنف . فالبيئة السياسية المحيطة أما أن تكون حاضنة أو طاردة للعنف . وفي السياق تظهر علاقة ارتباطية طردية بين غياب شرعية الحاكم، وارتفاع حدة العنف)(٩١).

١- ٧- ٤- الفوضى السياسية التي تعيشها كثير من البلدان العربية ، لاسيما سوريا، ليبيا، العراق، اليمن وإلى حد ما مصر ، وشيئا ما تونس. وهي فوضى Chaos نشئت بفعل الصراع السياسي بين الزعماء الجدد !

ونستحضر هنا مقولة للفيلسوف العربي القديم (ابن رشد) ، تنطبق على وضعنا العربي الراهن ، ونصها : (إذا كانت الرئاسات كثيرة ، لم يوجد للسياسة نظام ولا اعتدال ولا استقامة)(٩٢) .

والفوضى العربية المعاصرة ، أدت فيما أدت إلى انهيار قوة الضبط الاجتماعي والسياسي ، بل أصبحت بعض أجهزة الضبط الرسمي ، مصدر تهديد للمواطن . ومن ثم شاع العنف وانتشر ،كذلك أن فقدان الانضباط هو الفوضى أو الفتنة بعينها ، (فالانضباط مطلب إنساني للبقاء)(٩٣). والفتنة طريق المجتمع إلى التفكك والفناء .

١ – ٧- ٥- العامل الأيديولوجي

تعرف الأيديولوجية أنها (بناء منظم للأفكار والاتجاهات والقيم تجاه الإنسان والمجتمع ، وهي أيضاً رؤية عامة تتعلق بالحقائق الراهنة والمستقبلية، تعمل على تحقيق هدف أساسي يتمثل في خلق إطار مفاهيمي يسمح للعنصر البشري بتنظيم وإدراك العالم بصورة معينة . ومن المعروف إن الأيديولوجية لها أبعاد نفسية كثيرة، فهي تمد من يؤمن بها بطريقة محددة لفهم الحقائق وتفسيرها، كما أنها تقلل من درجة الانفتاح على المعلومات . ويتسم النمط الأيديولوجي في التفكير بعدم القدرة على تقبل مواقف الغموض أو الشك ، فضلاً

عن الجمود والانغلاق العقلي ، وعدم المرونة . ومن ثم فالأفراد الذين يؤمنون بأيديولوجية يتسمون بسمات خاصة، مثل الرغبة في التقيد بما هو مألوف، والتفكير بطريقة متحيزة ومبسطة، وبشكل قائم على الصور النمطية . كما انهم يدركون المواقف الغامضة على أنها مصدر من مصادر التهديد ، ولا يقبلون التغيير ، أيا ما كانت مصادره أو نتائجه .

ويؤدي الانتماء الأيديولوجي في كثير من الأحيان إلى استخدام العنف كأداة للتعبير عن هذا الانتماء .فالأيديولوجية قد تدفع الأفراد المؤمنين بها بصورة غير مباشرة إلى رفض الآخر ، وعدم الاستماع إلى أفكاره ، وربما استخدام العنف معه. وتظهر هذه الصورة بشكل واضح عقب الثورات – التي فتحت الباب نحو التعبير عما كان محرما من قبل – اذ يظن كل طرف من الأطراف انه يملك وحده الحقيقة المطلقة وينغلق على أفكاره وعلى خلفيته الأيديولوجية دون أن ينفتح على أفكار الآخر ، ويؤدي هذا الانغلاق إلى تشكيل حافز نفسي داخلي للدفاع عن هذه الآراء ، حتى ولو باستخدام العنف)[٩٤] .

٨. أسباب إعلامية

إن للإعلام هدف نبيل ، يتعلق بنقل الحقائق وتبصير المتلقي بما يدور حوله من أحداث ، ونشر المعلومة وإشاعة المعرفة بين الناس ولاريب.

وعلى الرغم من الدور الإيجابي الذي مارسته كثير من وسائل الإعلام– خلال أحداث الربيع العربي – في الحشد والتعبئة ضد الأنظمة الاستبدادية فإن أداءها (شابه قدر من التحيز، ونقص المهنية والوقوع في شرك الاستقطاب السياسي ، اذ أسهم فيما يسمى بـ "صناعة الكراهية" المتبادلة بين التيارات السياسية الدينية والمدنية في دول الثورات العربية. إذ دأبت وسائل الإعلام التي تمرست حول تيارات سياسية بعينها على تصوير الليبراليين على أنهم متفلتون، وضد الإسلام، بينما اصبح ينظر للإسلامي على أنه مستحوذ على الثورة، ومقص للآخرين، بعد وصوله للسلطة ، دون محاولة التركيز على الهموم والسمات المشتركة بين الطرفين ، ودون أن يكون هناك نفاذ إلى تعددية وجهات الرؤى داخل كل فريق، وأن الأمر ليس بهذا الاختزال المخل)[٩٥].

وعن هذا البعد السالب في الإعلام وعلاقته بالتحريض على العنف ، يقول جون كين: (بفضل النمو في وفرة الاتصالات والتغطية الإعلامية فائقة السرعة ولو بصورة جزئية، راحت أركان العالم تعج بالعنف على نحو مطرد)[٩٦].

ويبدو إن كثيراً من الباحثين العرب، لهم الرؤية نفسها، ومنهم الباحث ريمون غوش ، الذي يرى إن (كثيراً من وسائل الإعلام المحلية والإقليمية والدولية تمارس دوراً سالباً عن طريق زرع الشقاق والنفاق والتحريض على العنف والعدوان ، فبدلاً من أن تزرع المعرفة وقيم العمل المنتج والثقافة النافعة وروح الصفح والتسامح والسلام ، فأنها تقود الأفراد والجماعات ، نحو العنف والتجهيل وتدمير الذات)[٩٧].

٩. أسباب دولية

وتأخذ مستويات عدة ، من بينها التحريض الذي تمارسه قوى عظمى ، ولاسيما الولايات المتحدة ، عن طريق الترويج لنظرية "الفوضى البناءة"[*]التي تهدف إلى إسقاط دول وتفكيك مجتمعات ، وهي فوضى محسوبة الانطلاقة والوسائل والنتائج ، تؤدي عند التطبيق إلى نشر الصراعات الأهلية وزرع الغربة في نفوس الأجيال ، وضرب القيم والفضيلة والخير العام ، بما يؤدي إلى نشر الرذيلة والدمار والشر ، وتفشي ثقافة القتل والعنف والجريمة[٩٨] ، وللأسف هذا ما نلاحظه اليوم في أجزاء واسعة من العراق وليبيا وسوريا واليمن ، مستثمرة أحداث الربيع العربي وتحويل مسارها من موجب إلى سالب .

الخاتمة:

ختاماً، رغم اللوحة السوداوية التي تحيط بالعالم العربي في المرحلة الراهنة ، يبقى الأمل بالتغيير وبالغد الأفضل رهناً بتفعيل دور الشباب الواعي ، وبتنشيط مؤسسات المجتمع المدني ، وتجديد نظام القيم الإنسانية التي يتربى عليها المواطن العربي ، وإحداث نقلة نوعية في التعليم الجامعي ، والتعامل مع العولمة من موقع الفاعل فيها وليس الخاضع لسلبياتها ، والاستفادة من ثورات العلوم والتواصل لبناء جيل عربي جديد قادر على مواجهة تحديات العولمة[٩٩] .

فالثقافة الكونية ذات طابع إنساني وشمولي ، ولا يمكن أن تصنف بأنها غربية أو شرقية ، وليست حكراً على أي شعب من شعوب العالم . وثقافة العولمة (ليست واحدة بل متنوعة ، غنية ومتناقضة . وليس بالإمكان رفضها أو قبولها بالمطلق ، بل رفض كل أشكال الاستعلاء الثقافي أو محاولة فرض ثقافة العولمة على جميع الشعوب بهدف طمس هويتها الثقافية وإفراغ الدول النامية من طاقاتها الإبداعية . ومواجهة ثقافة العولمة غير ممكنة إلاّ بثقافة إبداعية تعتمد على امتلاك الشباب العربي العلوم العصرية ، والتكنولوجيا المتطورة ،

ومشاركته في الإنتاج العلمي المتطور. فهل يبادر المتنورون العرب إلى توليد مشروع نهضوي جديد من منظور مختلف لمواجهة ثقافة العولمة وتحدياتها ؟ وهل يستجيب الشباب العربي للتحدي الحضاري فيشارك بفاعلية في ترسيخ قيم العروبة الثقافية الجامعة التي تعيد للعرب دورهم الفاعل في الثقافة الإنسانية؟)[١٠٠].

أو تبني على الأقل– ثقافة وطنية جامعة –شرائح المجتمع كافة– من دون تمييز أو مفاضلة بين مواطن وآخر .

وفي أواخر الكلم، (إذا كانت أسوأ الأفعال في الدنيا هي تلك التي لا لزوم لها)، كما يقول لورنس العرب في أعمدته السبعة للحكمة، فإن العنف بلا ريب أسوأها واشدها قتامة لأنه فعل لا يضر من يتلقاه فحسب، وإنما يصيب من يقوم به أيضاً، فإن لم يكن عقاب المبادر في الدنيا حاضراً، فإن حسابه عند الله شديد، فضلاً عن عذاب الضمير، الذي (الضمير) لابد وان يصحو يوماً في الفاعل نفسه، وعندها يكتشف أن هذا العذاب، هو اصعب من أن يتحمله إنسان، وحتى وإن كان مجرماً سادراً في غيِّه وإجرامه، قاتلاً يسفك الدماء أو يفسد في الأرض؟ والله سبحانه وتعالى يقول :[مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا][١٠١].

Violence
A preliminary study on the causes, forms and functions And ways to reduce its impact

Dr. abdulsalam Ibrahim Baghdadi

Abstract:

Addresses research an important topic, but it is the phenomenon of violence, which is rooted phenomenon rooted in human, as he goes to so many researchers, may be acquired by virtue of the social environment in which man lives, and at the discretion of offenders, researchers, but the violence, in both cases, it is a reality Fact inherent to humans since it appeared on the face of the earth. The incident does not leave the man in various stages of life big or small, where unjust or wrong, or the victim of an executioner, he has done harm, or signed

(*) مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية/جامعة بغداد.

(١)الفرق بين الظاهرة **phenomenon** والواقعة **fact**أن الأولى عابرة أو وقتية أو غير مألوفة أو قليلة التكرار ، وتحدث عرضا ، في حين تصبح الواقعة مألوفة ومستمرة وجزء من الحياة الاجتماعية اليومية .

(٢)لا ريب أن المطر هو من نعم الله الكبرى دائما وأبداً لكنه في العراق ينزل عنيفا قاسيا ، وقد التقط شاعرنا المبدع ، السياب ذلك ، فأنشد : أتعلمين أي حزن يبعث المطر وكيف تنشج المزاريب اذا انهمر

(٣)سورة النحل : الآية ٦١.

(٤)جون كين،العنف والديمقراطية، ترجمة هيثم فرحت،(دمشق:الهيئة العامة السورية للكتاب،٢٠١١) ، ص١١.

(*)أصدرت كارين ارمسترونغ ، التي تعد واحدة من اهم من كتبوا ، في الغرب ، عن الأديان والروحانيات ، وخاصة الإسلام ، كتابا جديدا بعنوان " فيلدز اف بلد " (حقول الدم) . وارمسترونغ ، كاثوليكية تركت الدير ، ثم الكاثوليكية ، ثم الأديان ، قبل أن تعود إلى ما تسميه " ميستيسزم " (الغيبيات) .

(٥)مُحَمَّد علي صالح (عرض) ، (كارين ارمسترونغ تلاحق في " حقول الدم " التطرف وحصاد الكراهية : السياسة هي سبب اجتياح العنف العالم الإسلامي) . الشرق الأوسط، السنة ٣١ ، العدد ١٣١٤٥ في ٢٠١٤/١١/٢٤ ، ص١١.

(٦)التقرير العالمي عن العنف والصحة ، جنيف ، ٢٠٠٢ .

(٧)جون كين ، ص٢٠ .

(٨)المصدر نفسه ، ص١٢ .

(٩)المصدر نفسه ، ص٢٣ .

(١٠)د. ريمون غوش، العنف في المجتمعات المعاصرة. محاضرة ، الجامعة اللبنانية ، بيروت: المعهد العالي للدكتوراه في الأدب والعلوم الإنسانية والاجتماعية١٦-١-٢٠١٤، ص٢ .

(١١)د. خالد حنفي علي ، (المربع صفر : البيئة الانتقالية المحفزة على العنف بعد الثورات) . السياسة الدولية، القاهرة ، مؤسسة الأهرام ، المجلد ٤٨ ، العدد ١٩٣ ، تموز / يوليو ، ٢٠١٣ ، ملحق اتجاهات نظرية ، ص٣ .

(١٢)ينظر مداخلة الدكتور كامل المراياتي ، في : بلال الجوادي (إعداد) ، أبعاد وتفاصيل مشروع بيت الحكمة الستراتيجي لنشر ثقافة اللاعنف في التعامل مع الآخر . مجلة الحكمة، بغداد : بيت الحكمة ، العدد ٤٤ ، تموز/يوليو/٢٠٠٧ ، ص١٩٧ .

(١٣)نقلا عن د. عماد عبد السلام رؤوف ، "كانت " ملامح عن حياته وأعماله الفكرية ،(بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦) ، سلسلة الموسوعة الصغيرة ١٧٦ ، ص ٤٦ .

(١٤)جون كين ، ص ١٢ .

(١٥)مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح (الكويت: دار الرسالة ، ١٩٨٣) ص ٤٥٨.

(١٦)ينظر : منير البعلبكي ، المورد قاموس إنكليزي – عربي (بيروت : دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشر ، ١٩٨١) ، ص ١٠٣٢ . وقارن مع : أحمد حنفي ، قاموس الكلمات الأساسية لدارسي اللغة الإنكليزية (إنكليزي – عربي) ، (الرياض : العبيكان للنشر ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٨) ، ص ٢٧٠.

(١٧)جون كين ، ص ٣٥ .

(١٨)المصدر نفسه، ص ٣٥ .

(١٩)المصدر نفسه، ص ٤٥ .

(٢٠)جون كين، ص ٣٩ – ٤٠ .

(٢١)ينظر : مريم وحيد ، (أثر الاحتقان : الأشكال الجديدة للعنف في المراحل الانتقالية) ، السياسة الدولية، المجلد ٤٨ ، العدد ١٩٣ يوليو/تموز/٢٠١٣ ، ملحق اتجاهات نظرية ، ص٥، وقارن مع : حسنين توفيق إبراهيم ، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية (سلسلة أطروحات الدكتوراه)، (بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٢)، ص٤٢.

(٢٢)جون كين ، العنف والديمقراطية ، ص ٧ .

(*) أمّا الاستخدام القانوني للعنف أو الإكراه ، فهو ذلك الذي تمارسه السلطة السياسية الشرعية التي تمثل الدولة ، والمنبثقة عن انتخابات حرة نزيهة ، مستندة على عقد اجتماعي سياسي متفق عليه من قبل الشعب، وهو الأمر الذي نجده حاليا في الأنظمة السياسية الديمقراطية المتقدمة .

(٢٣)د. كريم محمّد حمزة ، (نقد المرجعية الثقافية للعنف ، حاجتنا اليوم إلى عقد اجتماعي واضح) . مجلة بيت الحكمة ، بغداد ، العدد ٤٤ تموز/يوليو ٢٠٠٧ ، ص ٢١ .

(٢٤)جون كين ، ص ٥ .

(٢٥)سورة الروم : الآية ٤١.

(٢٦)سورة النحل : الآية ٦١.

(٢٧)مريم وحيد ، (أثر الاحتقان...) ، ص٧ ؛ وكذلك : حسنين توفيق إبراهيم ، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية ، ص٤٢ .

(٢٨)غوش ، ص ٦ .

(٢٩)داليا احمد رشدي، (الفراغات المجتمعية: دور البعد النفسي في تغذية عنف ما بعد التغيير)، ملحق اتجاهات نظرية، السياسة الدولية ، العدد ١٩٣ ، يوليو/ تموز ٢٠١٣ ، ص ٢٤ .

(٣٠)د. عدنان ياسين مصطفى ، (المجتمع العراقي : الأمن الإنساني على مفترق طرق ! ما العمل لتحقيق نهوض مجتمعي شامل) مجلة بيت الحكمة ، بغداد ، العدد ٤٤ ، تموز/يوليو ٢٠٠٧ ، ص ٢٩ .

(٣١)عدنان ياسين مصطفى ، المصدر نفسه ، ص ٣٩ .

(٣٢)وصلت أعداد النازحين إلى ما يقرب من أربعة ملايين نازح في العراق عند بداية العام ٢٠١٦ . من تصريح لنائب رئيس الوزراء ورئيس ملف النازحين (صالح المطلك) قناة الشرقية الفضائية ، الخميس ٢٠١٦/٢/٤ نشرة الحصاد الإخبارية . على صعيد ذي صلة ، أكدت آخر إحصائية أجرتها وزارة الهجرة والمهجرين (العراقية) في ٢٠١٥/١١/٢٤ ، وجود (٣) ملايين نازح ... فيما أكد وزير الهجرة والمهجرين جاسم محمّد ، في مؤتمر صحفي عقده في مجلس النواب العراقي ، ان هناك أكثر من (٣,٣) مليون نازح في عموم العراق ... واحتلت محافظة نينوى المرتبة الأعلى (١,٢٥ مليون نازح) ، تليها محافظة الأنبار (مليون نازح) ، ثم صلاح الدين (٦٠٠ ألف نازح) ، ثم ديالى (٦١ ألف عائلة) ، بغداد (٢٦ ألف عائلة من حزام بغداد) ، كركوك (١٦ ألف عائلة) ، وأخيراً بابل (ثمانية آلاف عائلة نازحة عنها) — وفقاً لتصريحات الوزير– . المدى ، السنة ١٣ ، العدد ٣٥٦١ ، في ٢٠١٦/١/٣١ ، ص٧ ؛ من جهتها أكدت مفوضية شؤون اللاجئين ، التابعة للأمم المتحدة ، إن عدد النازحين في العراق وصل إلى (٣,٢٠٠,٠٠٠) مليون شخص ، نقلاً عن فضائية الشرقية / العراقية ، حصاد الأخبار ١٦-٢-٢٠١٦ ، وهي أرقام تؤشر حجم الكارثة الإنسانية ونتائجها السلبية مستقبلاً.

(٣٣)غوش ، ص ٢ .

(*)سورة النجم : الآية ٣٩ .

(٣٤)عطاء الله مهاجراني ، (متحدون ضد العنف باسم الدين) ، الشرق الأوسط ، لندن ، العدد ١٣١٤٥ ، في ٢٠١٤/١١/٢٤ ، ص٩ .

(٣٥)داليا احمد رشدي ، (الفراغات المجتمعية ....) ، ص ٢١ .

(٣٦)جون كين ، ص ١١ .

(٣٧)غوش ، صص٣ ، ٤ .

(٣٨)المصدر نفسه ، ص ٣ ، ٤ .

(٣٩)المصدر نفسه ، ص ٨ ، ٩ .

(٤٠)غوش، ص ٨ ، نقلاً عن : جروس برس ، واقع الحرب وانعكاساتها على الطفل، طرابلس / لبنان ، ١٩٩١ ، ص ٦٥ .

(٤١)داليا احمد رشدي ، (الفراغات المجتمعية ...) ، ص ٢١ .

(٤٢)نظرية الإحباط **Frustration Theory** : ترجع بدايات طرح هذه النظرية لعالمي النفس جون دولارد ونيل ميللر عام ١٩٣٩ ، بافتراضاتهما حول الترابط بين الإحباط الجماعي ، والنزوع للعدوان ، وهو المنطق ذاته الذي أكدته دراسات ليونارد بيركوفيتز التطبيقية عام ١٩٦٩ . وترتكز هذه النظرية على فرضية أساسية ، مفادها أن عرقلة تحقيق الفرد لتطلعاته الذاتية ، وإشباعه لاحتياجاته الأساسية يولدان لديه شعورا بالغبن الاجتماعي والتهميش ، ومن ثمة يلجأ للعنف كوسيلة احتجاجية ، أو كوسيلة للتغلب على قيود المجتمع والتمرد . وفي هذا الاطار ، صاغ منظرو هذا الاتجاه مجموعة قواعد أساسية لتفسير العنف، أهمها ما يلي :

- تنشأ النزاعات العدوانية في المجتمع عن تصاعد الكبت ، وإحباط التوقعات الفردية .
- توجد علاقة طردية بين تصاعد العنف ومستوى الاحتياجات والتطلعات المكبوتة لدى الأفراد، بحيث تتصاعد العدوانية مع تصاعد الاحتياجات المكبوتة والتطلعات غير المتحققة.
- تنشأ متوالية العنف عن تراتبية مراكز القوى في المجتمع، إذ إن عجز الفرد عن مواجهة الأسباب الحقيقية للإحباط يدفعه لتوجيه العنف لمن هم دونه في الترتيب الاجتماعي.
- قد تكون رموز السلطة والدولة الهدف الرئيس للعدوانية ، بحسبانها الحاجز الأكثر صلابة الذي يعترض تحقيق الفرد لتطلعاته ، بما يتجه بالعنف نحو الراديكالية بتكوين خلايا مقاومة للدولة ، واستهداف مصالحها في المجتمع بهدف تقويض بنية السلطة ، والتحول نحو الاناركية الاجتماعية (الفوضى) .
- يؤدي التصدي للعدوانية بالعنف لتوليد ردود فعل عكسية تؤدي لتصاعد موجات عاتية من العنف المجتمعي ، بينما تؤدي مواجهة الاختلالات وتمهيد السبل لتحقيق التطلعات لتقليل حدة العدوانية تدريجيا .

المصدر :

Howard S. friedman, Miriam W. Schustack, Personality Classic Theories And Modern Research , 5th Ed. , (New York : Pearson Inc. , 1999) , Pp.204 – 206 .

نقلاً عن: ملحق اتجاهات نظرية في تحليل السياسة الدولية،مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٩٣ يوليو/تموز) ، ٢٠١٣ ، ص ٢٣ .

(٤٣)نقلاً عن : داليا رشدي ، ص ٢١ – ٢٢ ، وقارن مع المصادر التي رجعت إليها: إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية : دراسة في الأصول والنظريات ، (الكويت: جامعة الكويت، كلية التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٨٤)، ص٢٢٦ ؛ متروك هايس الفالح ، نظريات العنف والثورة : دراسة تحليلية تقويمية ، (القاهرة : جامعة القاهرة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، مركز البحوث والدراسات السياسية ، سلسلة بحوث سياسية العدد ٤٩ ، أكتوبر (تشرين الأول) ، ١٩٩١)، ص ٤ .

(٤٤)داليا رشدي ، ص ٢٢ ، وقارن مع :

Nasser Momayezi, A Test of some theories of political violence : the case of Iranian revolution , Phd. thesis, (Teah university, faculty of texas, 1983), P.25

.

(٤٥)روجر كوهين ، (هل تطارد أميركا ذيلها ؟) الشرق الأوسط ، لندن ، السنة ٣٧ ، العدد ١٣١٤٧ ، في ٢٠١٤/١١/٢٦ ، ص ٨ .

(٤٦)داليا رشدي، ص ٢٤ ، وقارن مع : م. س. كوهان ، مقدمة في نظريات الثورة ، ترجمة فاروق عبد القادر، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩)، ص٢١٥– ٢١٨ .

(*)جاء في الأثر عن النبي الأكرم محمد (ρ) ، انه ليس الشديد منكم بالصرعة ، إنما الشديد من يمسك نفسه ساعة الغضب .

(٤٧)رشدي ، ص ٢٣ ، وقارن مع المصادر التي رجعت إليها :

EranHalperin , James J. gross , " intergroup Anger in Intractable Conflict " , group process & intergroup relations , vol 14 . no 4, 2010, P.478 ;

و : معتز سيد عبد الله ، عبد اللطيف محمد خليفة ، علم النفس الاجتماعي ، (القاهرة : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠١) ، ص ٦٧١ – ٦٧٣ .

(٤٨)ينظر في ذلك .

Hilary Silver , " Social Exclusion and Social Solidarity " , (International Labour Review : Vol. 133 , No. 5 , 1994) , Pp. 531 – 535 .

جون هيلز ، جوليان لوجران ، دافيد بياشو ، " الاستبعاد الاجتماعي : محاولة للفهم " ، ترجمة : محمد الجوهري (الكويت : عالم المعرفة ، أكتوبر ٢٠٠٧) ، ص ٢٤ – ٢٧ .نقلاً عن: ملحق اتجاهات نظرية: السياسة الدولية ، العدد ١٩٣ ، يوليو / تموز ٢٠١٣ ، ص١٨ .

(٤٩)ينظر حسن سلامة، (السيطرة البديلة : الارتباط بين غياب العدالة الاجتماعية والعنف الانتقالي)، ملحق اتجاهات نظرية ، السياسة الدولية ، المجلد ٤٨ ، العدد ١٩٣ يوليو/تموز ٢٠١٣ ، ص ١٧ ، وقارن مع المصادر التي رجع إليها :

Janice Perlman , the Myth of Marginality : Urban Poverty and Politics in Rio De Janeiro , Berkeley : University of California Press , 1976 , Pp. 98 – 99 ;

Oskar Lewis , the Culture of Poverty , Scientific American , Vol. 215 , No. 4 , 1966 ; Manuel Castells , Cities and the Grassroots , Berkeley : University of California Press , 1983.

(٥٠)نقلاً عن : د. حسن سلامة ، ص ١٧ .

(٥١)نقلاً عن :د. حسن سلامة، ص ١٧ .

(٥٢)داليا رشدي ، ص ٢٢ ، وقارن مع المراجع التي عادت إليها : رجب بو دبوس ، محاولة في علم الثورة، (طرابلس: المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، ١٩٩١) ، ص ١١٤ ؛ محمد السيد عبد الفتاح حسن فايد ، الإغتراب السياسي وعلاقته بأبعاد الحرمان الاجتماعي وسمات الشخصية لدى الشباب . أطروحة دكتوراه، (القاهرة: جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم علم النفس، ٢٠٠٩) ، ص ص ٥٠ – ٥٥ ؛

James C. Davies "Toward A theory of Revolution"American sociological review , Vol. 27, No.1 , February 1962, Pp. 5– 19 .

(٥٣)داليا رشدي ، ص ٢٤ .

(٥٤)جون كيري ، ص ١٥ .

(٥٥)داليا رشدي ، ص ٢٤ – ٢٥ .

(٥٦)غوش ، ص٧ .

(٥٧)نقلا عن : د. خالد حنفي علي ، (المربع صفر ....) ، ص٣ .

(٥٨)كيرت ام. كامبل (غياب المساواة وتأثيره على السياسة الخارجية الأمريكية) ، الشرق الأوسط ، لندن ، العدد ١٣١٥٩ في ٨ – ١٢ – ٢٠١٤ ، ص ٥ .

(٥٩)مُحَّد الحكمت (تحقيق صحفي) ، (في يوم بغداد .. ناشطون يؤشرون " تراجع التعددية الدينية و الثقافية") صحيفة المدى ، بغداد السنة ١٢ العدد ٣٢١٨ في ٢٠١٤/١١/١٨ ، ص ٧ .

(*)مما يجدر ذكره هنا ان وزارة التخطيط العراقية نشرت في تصريح صحفي يوم ٢٠١٤/٨/٢٢ أرقاماً عن عدد ساكني العشوائيات في عموم البلاد ، إذ تجاوزت أعدادهم المليونين و ٤٥٠ الف وان النسبة الأكبر من هذه العشوائيات موجودة في بغداد ، بنسبة ٣٣% تليها محافظتي البصرة وديالى . صحيفة المدى ، بغداد ، السنة ١٢ ، العدد ٣٢٢٦ في ٢٧–١١–٢٠١٤ ، ص ٦ .

(٦٠)المصدر نفسه ، ص ٦ .

(**)(دعت لجنة الأمن والدفاع البرلمانية إلى ضرورة التصدي لجرائم القتل والاختطاف والابتزاز التي تطال المواطنين في بغداد وسائر المحافظات كونها محاولة لـ "إفشال " الحكومة .

إلى ذلك كشف مجلس بغداد عن وصول ١٨ سيارة مخصصة بكشف المتفجرات إلى بغداد ، مؤكدا حدوث ٢٠٠ عملية خطف أو سرقة في بغداد شهرياً .

وقال حامد المطلك نائب رئيس لجنة الأمن والدفاع النيابية ، في حديث إلى (المدى برس) ، إن " تصاعد عمليات خطف المواطنين الأبرياء وابتزازهم وقتلهم ، في بغداد وباقي المحافظات ، عبارة عن مخطط لإفشال الحكومة " ، داعيا رئيس الحكومة إلى ضرورة " التنبه لذلك المخطط ، مثلما يتوجب على القيادات الأمنية التصدي له بأسرع وقت ممكن". من جهته اقر مُحَّد الربيعي ، عضو مجلس محافظة بغداد ، في حديث إلى (المدى برس) بأن " عمليات الخطف باتت تشكل واقعا في بغداد " ، مضيفاً إن " ٢٠٠ عملية خطف أو سرقة تحدث في جانبي الكرخ والرصافة من العاصمة شهريا " . وعد عضو مجلس محافظة بغداد ، إن " تلك الجرائم تحدث بسبب العصابات المسلحة التي تقتل باستعمال الأسلحة الكاتمة للصوت وعصابات السرقة " ، مطالبا وزارة الداخلية بضرورة " عدم السكوت عنها واتخاذ إجراءات سريعة للتصدي لها "=

=واكد الربيعي ، إن " ٧٠ % من مراكز الشرطة في العاصمة مشلولة ولا تتمكن من معالجة ظاهرة الخطف والقتل والسرقة " ، داعياً إلى " حلول سياسية وأمنية لمواجهة تفاقم الجريمة في العاصمة كما باقي المحافظات ، لان مجالسها لن تتمكن إلاّ من إيصال معاناة المواطنين للجهات المعنية " . وكان رئيس مجلس النواب سليم الجبوري ، تحدث ، عن تكرار عمليات خطف وابتزاز " منظمة " تمارس من قبل " عصابات " بحق المواطنين ، وقال الجبوري خلال بيان صحافي لمكتب أعلام رئيس المجلس ، وتلقت (المدى برس) ، نسخة منه ، أن " عمليات الخطف المنظمة التي وصلت إلى المئات خلال أيام في مدن عدة وتحديدا في بغداد وديالى ، تندرج أحياناً تحت دافع الابتزاز المالي واحيانا أخرى بدوافع التأجيج الطائفي المقيت ، ودعا الجبوري بحسب البيان :

الحكومة إلى وضع خطة عاجلة والشروع في إجراءات فورية لإيقاف هذه الجريمة وتأمين حياة العراقيين الذين فقدوا هذا الشعور حتى في بيوتهم ومناطقهم ") ، المصدر : المدى ، بغداد ، السنة ١٢ ، العدد ٣٢٢٠ في ٢٠ / ١١ / ٢٠١٤ ، ص ٢ .

(٦١) مُحَّد الحكمت (تحقيق صحفي) ، ص ٧ .

(٦٢) خالد حنفي علي ، (المربع صفر ..) ، ص ٣ .

(٦٣) مُحَّد الحكمت (تحقيق ...) ، ص ٧ .

(٦٤) مُحَّد الحكمت (تحقيق ...)، ص ٧ .

(٦٥) علي عبد الأمير عجام ، (مشهد بغدادي .. خراب المكان وحيرة البشر) ، المدى ، بغداد، السنة ١٢ ، العدد ٣٢٢٦ في ٢٠١٤/١١/٢٧ ، ص ١٧ .

(٦٦) بتصرف عن المصدر نفسه ، ص ١٧ .

(٦٧) تؤكد الأمم المتحدة أن أكثر من مليوني عراقي اجبروا على الفرار من منازلهم بسبب الأحداث الأخيرة . نقلا عن جريدة المدى ، بغداد ، السنة ١٢ ، العدد ٣٢٢٦ في ٢٧ / ١١ / ٢٠١٤ ، ص ٢٠ .

(*) ذكرت الدراسة في موضع سابق ، إن أعداد النازحين تجاوزت الثلاثة ملايين شخص ... وفقاً لأرقام الأمم المتحدة .

(٦٨) يوسف الديني (موجة جديدة معوَّلمة : الإرهاب مشروع لا يتجزأ) ، الشرق الأوسط ، العدد ١٣١٥٣ في ٢ / ١٢ / ٢٠١٤ ، ص ١٠ .

(٦٩) نقلاً عن سجى الرفاعي (تحقيق صحفي) ، (دخول النازحين يضاعف احتمالات تسلل الإرهابيين معهم) . صحيفة المدى ، بغداد ، السنة ٢١ ، العدد ٣٢٢٦ في ٢٧ / ١١ / ٢٠١٤ ، ص ٦ .

(٧٠) المصدر نفسه ، ص ٦ .

(٧١) المصدر نفسه ، ص ٦ .

(*) أكدت الأمم المتحدة في ١٩ / ١١ / ٢٠١٤ إن أكثر من ٥ ملايين عراقي بحاجة " ماسة للمساعدات" ، لافتة إلى حاجتها لـ (١٧٣) مليون دولار لسد مستلزمات فصل الشتاء للنازحين . وقالت فاليري آموس، وكيلة الأمين العام للأمم المتحدة لشؤون الإنسانية في كلمة لها من خلال جلسة مجلس الأمن حول العراق،(إن " الأوضاع الإنسانية في العراق في حالة تدهور اذ يوجد هناك اكثر من ٥ ملايين و ٢٠٠ الف شخص في حاجة للمساعدة في عموم البلاد " . وأضافت آموس إن " أحداث العنف التي حصلت خلال الأسابيع العشرة الماضية أجبرت اكثر من ٢٠٠ الف شخص على مغادرة منازلهم قسريا"، مشيرة إلى " تسجيل اكثر من ١٠٠ الف عراقي كلاجئ في البلدان المجاورة فضلا عن مليوني شخص مهجر في الداخل " . وتابعت آموس ان " هناك نحو مليون ونصف المليون شخص متواجد في مجمعات النازحين وأكثر من مليون و ٤٠٠ الف شخص يعيشون في مناطق ينشط فيها القتال حيث يكون وصولهم للخدمات الأساسية محدودا جدا ، فضلا عن وجود ٢٢٠ الف لاجئ عراقي فروا من سوريا والجميع بحاجة ماسة إلى مساعدات ". وأوضحت اموس أن " المؤسسات الإنسانية تواجه تحديات ضخمة في جهودنا لإيصال المعونة للمحتاجين ونحن بحاجة ماسة لدعم مالي بحدود ١٧٣ مليون دولار لتغطية نفقات مستلزمات فصل الشتاء للمهجرين في منطقة إقليم كردستان ومناطق أخرى ". وأشارت اموس إلى أن " أكثر من ٩٠٠ الف شخص من رجال ونساء وأطفال قد وجدوا لهم ملجأ في منطقة إقليم كردستان " ، وقالت إن " الأزمة في العراق هي أولاً وقبل كل شيء أزمة حماية حيث العنف الشديد والوحشية التي يتعرض لها المدنيون تشمل مختلف الأديان والخلفيات العرقية "). ينظر : (الأمم المتحدة ، اكثر من ٥.٢ مليون عراقي بحاجة لمساعدات إنسانية عاجلة) ؛ تقرير (المدى برس) صحيفة المدى ، بغداد ، السنة ١٢ ، العدد ٣٢٢٠ في ٢٠١٤/١١/٢٠ ، ص ٤ . وقارن مع الصحيفة ذاتها ، ص ١٩ ، إذ ذكرت وحسب مصادر تابعة للأمم المتحدة ، إن هناك ١٠ آلاف قتيل ، و ٢٠ الف جريح و ١.٩ مليون مُشرَّد منذ بداية عام ٢٠١٤ .

(٧٢)يوسف الديني ، (موجة جديدة ...) ، ص١٠ .

(٧٣) ينظر تقرير رويترز / سكاي نيوز من واشنطن : (محتجون يحرقون وينهبون متاجر بكاليفورنيا والاحتجاجات تنتشر إلى عدة مدن أمريكية)، جريدة المدى، بغداد ، السنة ١٢ ، العدد ٣٢٢٦ في ٢٠١٤/١١/٢٧ ، ص١٥ .

(٧٤) (عنف واسع في أميركا بعد تبرئة قاتل الشاب الأسود في فيرغسون) – تقرير – الشرق الأوسط/لندن ، العدد ١٣١٤٧ في ٢٠١٤/١١/٢٦ ، ص٧ . وعن تحليل الواقعة ، ينظر: المدى ، العدد ٣٢٣٤ في ٢٠١٤/١٢/٧ ، ص١٧ .

(*)وللمزيد من التفاصيل حول حوادث العنف ذات الطابع العنصري في الولايات المتحدة نتوقف عند المحطات الآتية :

* ١١ إلى ١٧ اغسطس (آب) ١٩٦٥ ، ووتز – لوس انجليس : شرطيون يعتقلون الشاب الأسود ماركتي فراي في أثناء عملية تفتيش تلاها شجار مع أقارب ، فاندلع تمرد في أحياءووتز الفقيرة بلوس أنجليس وتحول ذلك الحي الفقير خلال ٦ أيام إلى ميدان حرب تجوبه دوريات عناصر الحرس الوطني وهم مسلحون بالرشاشات . وفرض حظر التجول على الحي ، وبلغت حصيلة الضحايا ٣٤ قتيلا والكثير من الجرحى ، في حين اعتقل ٤ آلاف شخص وتجاوزت الخسائر المادية ٤٠ مليون دولار.

- ١٢ إلى ١٧ يوليو/تموز (تموز) ١٩٦٥ ، نيويورك – نيوجرسي : شجار بين شرطيين أبيضين وسائق سيارة أجرة أسود يتسبب في اندلا ع أعمال عنف بحي نيوآرك الفقير وخلال ٥ أيام تعرض هذا الحي لأعمال نهب وأدت أعمال العنف إلى سقوط ٢٦ قتيلاً و ١٥٠٠ جريح .
- ٢٣ إلى ٢٨ يوليو (تموز) ١٩٦٧ ، ديترويت – ميشيغن : اندلعت أعمال شغب في ديترويت أثر تدخل الشرطة في الشارع رقم ١٢ حيث أغلبية السكان من السود ، وانتشر الجيش والحرس الوطني ، وأسفرت المواجهات عن سقوط ٤٣ قتيلا وأكثر من الفي جريح، وامتدت الاضطرابات إلى عدة ولايات منها ايلينوي وكارولينا الشمالية وتينيسيوماريلاند. وخلال عام ١٩٦٧ ، قتل ٨٣ شخصا في أعمال عنف عرقية شهدتها ١٢٨ مدينة .
- من ٤ إلى ١١ أبريل (نيسان) ١٩٦٨ : اثر اغتيال القس مارتن لوثر كنغ في ممفيس (تينيسي) في الرابع من أبريل ، اندلعت أعمال العنف في ١٢٥ مدينة وأسفرت عن سقوط ما لا يقل عن ٤٦ قتيلاً ونحو ٢٦٠٠ جريح . وفي واشنطن – حيث ثلثا السكان من السود – أضرمت عدة حرائق وانتشرت أعمال النهب ، وفي اليوم التالي امتدت أعمال العنف إلى الأحياء التجارية في وسط المدينة على مسافة ٥٠٠ متر من البيت الأبيض . وأمر الرئيس ليندون بي. جونسون بنشر الكتيبة الثانية والثمانين المجوقلة من نخبة الجيش الأميركي ، وتدخل الجيش أيضاً في عدة مدن مثل شيكاغو وبوسطن ونيويورك وتشينشيناتي .
- ١٧ إلى ٢٠ مايو (أيار) ١٩٨٠ ،ليبرتي سيتي بميامي (فلوريدا) اندلعت أعمال العنف بعد الإفراج من تامبا عن ٤ شرطيين بيض ملاحقين لأنهم ضربوا حتى الموت شابا أسود كان يركب دراجة نارية لأنه لم يتوقف أمام الضوء الأحمر .
- ٣٠ أبريل – ١ مايو ١٩٩٢ ، لوس انجليس : الإفراج عن ٤ شرطيين بيض ضربوا سائق السيارة الأسود رودني كينغ في الثالث من مارس (آذار) ١٩٩١ ، مما ألهب المدينة الكبيرة وامتدت أعمال العنف حتى سان فرانسيسكو ولاس فيغاس وأتلانتا ونيويورك ، وأسفرت عن سقوط ٥٩ قتيلا و ٢٣٢٨ جريحا .
- ٩ أبريل ٢٠٠١ ،تشينشيناتي – أوهايو : شرطي ابيض يقتل الشاب الأسودتيموثي توماس (١٩ سنة) خلال عملية مطاردة ، وتلا ذلك ٤ أيام من أعمال العنف ، جرح خلالها ٧٠ شخصاً وعاد الهدوء بعد فرض حالة الطوارئ وحظر التجول . وكان تيموثي توماس الذي كان أعزل الأسود الخامس عشر الذي تقتله الشرطة في تشينشيناتي منذ ١٩٩٥ .المصدر : صحيفة الشرق الأوسط / لندن / العدد ١٣١٤٧ في ٢٠١٤/١١/٢٦ ، ص٧ .

(*)عاش ردحاً من حياته في الولايات المتحدة الأميركية وكان معجبا بالديمقراطية الأمريكية . ينظر: جوزيف إبستاين ، ألكسي دوتوكفيل المرشد إلى الديموقراطية ، ترجمة : سمية ممدوح الشامي ، مراجعة: أسماء محمد عادل ، (القاهرة : كلمات عربية للترجمة والنشر، ٢٠١٠) .

(٧٥)نقلا عن: جون كين ، ص١٨٠ .

(٧٦)نقلا عن:المصدر نفسه .

(٧٧)مُحَمَّد علي صالح ، السياسة هي سبب اجتياح العنف العالم الإسلامي ، مصدر سابق، ص١١.

(٧٨)المصدر السابق ، ص١١ .

(٧٩) سورة الأنبياء : الآية ١٠٧ .

(٨٠)خالد حنفي علي (المربع صفر ...) ، ص٤ .

(٨١)أنظر : مريم وحيد (أثر الاحتقان ...) ، ص٧ ؛ وقارن مع : مُحَمَّد عز العرب، الغليان الاجتماعي : المتغيرات الوسيطة لبروز العنف الفوضوي في الدول العربية ، المركز الإقليمي للدراسات الاستراتيجية .http://www.ressmideast.org 21-5-2013

(٨٢)نقلاً عن جون كين ، ص٩٦ .

(٨٣)د. عدنان ياسين مصطفى ،(المجتمع العراقي...)، ص٣٤؛ وقارن مع : وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي و UN ، خارطة الحرمان ومستويات المعيشة في العراق ، ج١ ، (التقرير التحليلي) ، ٢٠٠٦ ، ص١٨٤ .

(٨٤)المصدر نفسه ، عدنان مصطفى ، ص٣٤ .

(*) بل أنه وصل دون الـ ٣٠ دولار مطلع العام ٢٠١٦ .

(٨٥)المصدر نفسه ، ص٣٥ .

(٨٦)د. كريم مُحَمَّد حمزة ،(نقد المرجعية الثقافية...)، ص٢٠ .

(٨٧)د. خالد حنفي علي ، ص٤ .

(٨٨)د. حسن سلامة ، (السيطرة البديلة) ، ص١٥ .

(٨٩)د. خالد حنفي علي ، ص٤ .

(٩٠) د. خالد حنفي علي ، ص٤ .

(٩١)مريم وحيد ،(اثر الاحتقان ...) ، ص٧ . وقارن مع المصدر الذي رجعت إليه

Adrian Guelke , Politics in deeply divided societies , (Cambridge and Malden : Policy press, 2012) PP. 27 , 34 .

(٩٢)نقلا عن د. كريم مُحَمَّد حمزة ، ص٢٢ .

(٩٣)فكتور سنونو ، (الإنسان البدائي أوجد ثقافة سلام منضبطة للتعايش والبقاء) ، ترجمة إبراهيم عبد الرزاق، مجلة بيت الحكمة ، العدد ٤٤ تموز/ يوليو ٢٠٠٧ ، ص١٩ .

(٩٤)داليا أحمد رشدي ، (الفراغات المجتمعية ...) ، ص٢٣ – ٢٤ وقارن مع المصدر الذي استندت عليه :

John Gerring, "ideology: A definitional Analysis" Political Research Quarterly, vol. 50, No. 4, December 1997, p. 958 – 959 .

(٩٥)خالد حنفي علي ، ص٤ .

(٩٦)جون كين ، ص٢٣ .

(٩٧)غوش ، ص١٤ .

(*)الفوضى البناءة **Constructive chaos** : ترتبط فكرة الفوضى البناءة باعتقاد مفاده (إن موجات التغيير والتحولات التي يتبعها انهيار الدولة ، وتفكك أبنية المجتمع ، والصراعات الأهليةستئول في المحصلة النهائية لتحقيق الاستقرار والأمن ، وإعادة

ترتيب الأوضاع السياسية ، بما يحقق الاعتدال في المحصلة النهائية ، إذ تتمخض عن الصراعات المتقاطعة أسس لبناء نظام جديد قائم على ترشيد التفاعلات بين الفرقاء وصياغة عقد اجتماعي جديد ، أو على الأقل صعود مراكز واضحة للقوة تتمكن من التفاوض وفرض تسوية ملائمة على مختلف الأطراف المتصارعة ، بما ينتج عنه إعادة بناء الدولة . بيد أن المفهوم اقترن بالأطروحات الاستراتيجية للمحافظين الجدد في الولايات المتحدة ، خاصة تعليق وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة ، كوندليزا رايس ، على الصراع الأهلي في العراق عقب الاحتلال الأمريكي، ووصفه بأنه فوضى خلاقة ستؤدي لتأسيس شرق أوسط جديد، على حد تعبيرها ، بما جعل المفهوم مرتبطاً بالتدخلات الاستعمارية واختراق الخارج لتماسك المجتمعات ، واستدراج تناقضات الأبنية الاجتماعية والسياسية كي تطفو على السطح دون قيود بغرض توليد ديناميات جديدة وتوازنات جديدة يمكن الانطلاق من أساسها لصياغة النظام السياسي الجديد ، في اطار عملية إعادة هندسة بنية الدولة والسلطة والمجتمع بإنهاء السلطوية والقمع . لكن التوازنات السياسية الصاعدة في خضم الفوضى الخلاقة عادة ما تتحول إلى توازنات أهلية انقسامية تعصف بوحدة النسيج الاجتماعي والوطني الذي كانت تسعى الدولة للحفاظ عليه ، وهذا الانفجار الاجتماعي للعلاقات الانقسامية هو ما يؤدي لتفكيك الدولة في المحصلة النهائية، بعدما تصعد مكانة الهويات الفرعية الطائفية، والمذهبية، والقبلية والعشائرية،والمناطقية لتتحول لكيانات أكثر نفوذا من الدولة، وفوق المجتمع نفسه، بما يجعل معادلات المحاصصة الطائفية، أو الاقتتال الأهلي خيارات حدية مطروحة للحفاظ على التعايش السلمي في اطار دولة مفككة).

المصدر :

Joan pere , DandoyRgis , "chaos Theory And Its Application In Political Science" , (Montreal : International political Science Association , 2006) , P. 13 – 21

وكذلك:عبد الإله بلقريز ، "الفوضى الخلاقة : الاسم الحركي للتفكيك" ، وجهات نظر ، القاهرة ، مايو/مايس ٢٠١٣ نقلا عن – اتجاهات نظرية ، ملحق السياسة الدولية ، العدد ١٩٣ يوليو / تموز ٢٠١٣ ، ص٣٤ .

(٩٨)غوش (بتصرف) ، ص١٤ .

(٩٩)مسعود ضاهر ،(دور الشباب في توليد ثقافة عربية من منظور مختلف) ، العربي ، الكويت ، العدد ٦٧٣، كانون الأول/ديسمبر/٢٠١٤ ، ص٢١ .

(١٠٠)المصدر نفسه ، ص٢١ .

(١٠١)سورة المائدة : الآية ٣٢ .

دراســات دوليـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

دراســات دوليـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ